فهرس الملوك



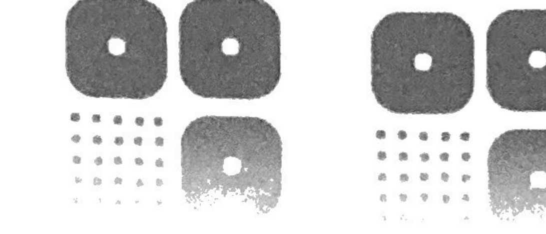
ليلى عبد الله

قصص

للنشر والتوزيع
MARAYA


فهرس الملوك
ليلى عبد الله
اخترع الصغار لغة التلويح بالأيدي
وتعابير الوجوه في أحاديثهم مع ابن
الملك ومع أنفسهم ومع والديهم
أيضا، أصبحت البلاد تسير على
هوى أطفالها، استغل الرجال لغة
الإشارة حتى ينجوا من ثرثرات النساء البليدات اللاتي كنّ
يرهقنهم بطلباتهن وقصصهن الفارغة، وصاروا يدّعون
بدورهم أنهم لا يسمعون ويلوّحون بأيديهم
كذلك وجدت بعض الأمهات في لغة الأطفال الجديدة خير
وسيلة للتهرب من صياح أزواجهن، المتسكعين السكارى،
الذين يطالبون بالطعام وإشباع غرائزهم، فادّعين أنهن لا
يسمعن أيضا، وكففن عن تلقين مواليدهن لغة الكلام، فما
عادت الكلمات تستخدم في الجزيرة ولا تجدي نفعا بين أفراد
شعب اعتاد على لغة الإشارة. فسّر الملك وزوجته لمراعاة
الشعب لوضع ابنهما الملك.
ISBN: 978-9921-752-25-0
9 789921 752250
جميع الحقوق محفوظة
للنشر والتوزيع
MARAYA

فهرس الملوك



فهرس الملوك

تأليف: ليلى عبدالله

التدقيق اللغوي: جعفر حجاوي

تصميم الغلاف: نذير الزعبي

الإخراج الداخلي: خالـد أبو حوران

الطبعة الأولى: 2023

ISBN: 978 - 9921 - 752 - 25 - 0



+965 67771359

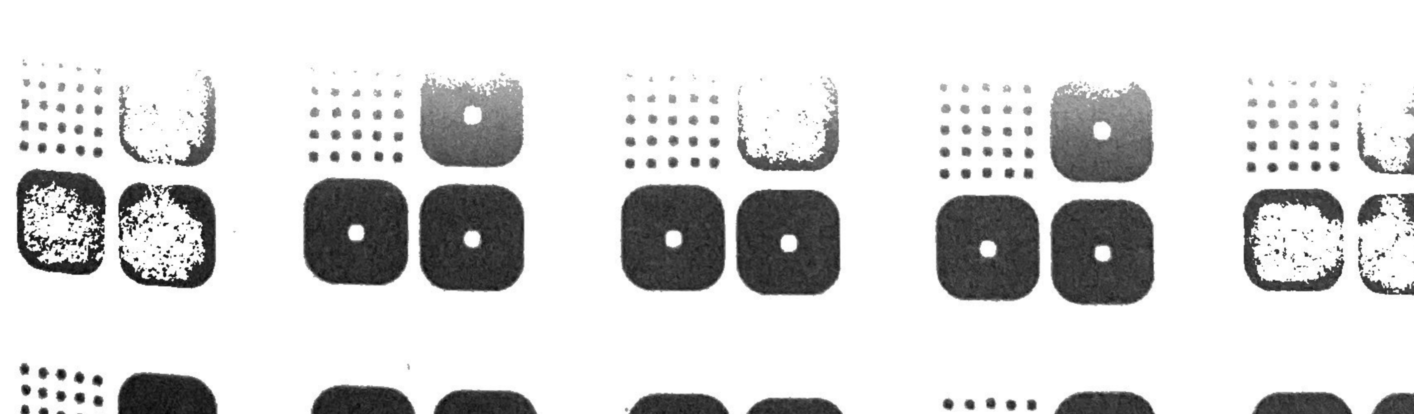
Dar.Maraya.Kw@gmail.com

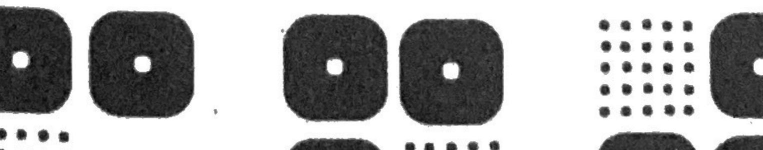
www.marayakw.com

Maraya.Publishing.KW

Dar_Maraya_KW

Maraya Publishing & Distribution©





قصص

فهرس الملوك

ليلى عبد الله



2023

«أمر الملك باعتقال البحر
فصار البحر غيماً
أمر الملك باعتقال المطر
فصار المطر فيضانًا
الملك أمر باعتقال الفيضان
فالتهمه السّيل بأسنانه الحادة...»

- الشّاعر الكرديّ لطيف هملت -

(دخل شاعرٌ إلى ملك وهو أمام مائدته فأدناه إليه، وقال له:

«أيّها الشّاعر»، فردّ الشّاعر: «نعم، أيّها الملك!»

قال الملك: «وا»، وردّ الشّاعر على الفور: «إنّ»، فغضب الملك غضبًا شديدًا، وأمر بطرده، فتعجّب النّاس وسألوه:

لم نفهمْ ما الذي دار بينكما أيّها الملك، أنت قلت: «وا»، وهو قال: «إنّ»

وكان جواب الملك: أنا قلت له: «وا»، أعني قول الله تعالى:

«والشّعراء يتّبعهم الغاوون»، فردّ الشّاعر عليّ بقوله: «إنّ»، يعني قوله تعالى:

«إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة»)*

* مجهول

(دخل شاعرٌ إلى ملك وهو أمام مائدته فأدناه إليه، وقال له:

«أيّها الشّاعر»، فردّ الشّاعر: «نعم، أيّها الملك!»

قال الملك: «وا»، وردّ الشّاعر على الفور: «إنّ»، فغضب الملك غضبًا شديدًا، وأمر بطرده، فتعجّب النّاس وسألوه:

لم نفهمْ ما الذي دار بينكما أيّها الملك، أنت قلت: «وا»، وهو قال: «إنّ»

وكان جواب الملك: أنا قلت له: «وا»، أعني قول الله تعالى:

«والشّعراء يتّبعهم الغاوون»، فردّ الشّاعر عليّ بقوله: «إنّ»، يعني قوله تعالى:

«إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة»)*

* مجهول

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذوّاق الملك

كان آخر أحلامي أن أموت بداء الملوك!

إذ لم أفكّر في ميتة مختلفة عمّا ألفَه مئات الفقراء أمثالي في هذه المملكة، إلّا أنّ الفكرة خطرت ببالي حين أذاع بواق القصر عن حاجة الملك إلى متذوّقين لطعامه مقابل خمس قطع ذهبية. وهذه النّقود لم تُمنح حتّى لجنديٍّ يتفانى في ساحة المعركة، لا بدّ للملك أن يكون سخيًّا؛ فهو يعي أنّ من يمتلك الشّجاعة للتّقدّم إلى الوظيفة، سيعرّض روحه للمغادرة باكرًا، لقد مات عشرات من البسطاء الذين أغراهم رنين الذّهب، وربّما يكون مصيري كمصيرهم، خصوصًا أنّ للملك خصومًا، يحيكون مؤامراتهم في قصره.

فما حيلتي؟! حياتي أشبه بالموت، سأقبل بالمقامرة رغم معارضة زوجتي، لعلّي أنقذها وأطفالي من شبح الجوع.

سرت إلى القصر كمن يلقي بنفسه في بحيرة عامرة بتماسيحَ جائعةٍ، وكنت مع آخرين من طهاة وسقاة وذوّاقين تحت إشراف الملك نفسه، طواقم متعددة في بلاط المطبخ الملكيّ، يعدّون أطعمة مختلفة لا أحد يدري من أيّ طاقم سيختار الملك طعامه الشّخصيّ.

وفوق ذلك كان الذّواقون يتوزّعون تحت متابعة مربية الملك ليتذوّقوا الأطعمة كلّها، بأن تؤخَذ لقمة من كل قدر قبل أن يختار الملك طعامًا لذوّاقه الخاص.

في أوّل ليلة تملّكني الذّهول لحجم المأكولات، ما لذّ وطاب منها، بقيت حائرًا: أيّها ستقتلني؟!

كان الملك شديد الحرص أكثر ممّا توقعت، فهو لا يكتفي بجعل ذوّاقه الخاص، يتناول عيّنة من الطّبق، بل ينتظر لدقائق، فإذا لم يسقط غارقًا في رغوة بيضاء تخرج من فمه، يكون بذلك قد نجا الطّبق من سمّ الأعداء. كنت على يقين بأنّني سأموت خلال تذوّق الطّعام؛ لذا عقدت العزم على الاستمتاع بكلّ لقمة أضعها في فمي، فتعمّدت أن آخذ لقمة كبيرة وأبطئ في مضغها.

كنّا قليلين والطّعام الملكيّ وفير، وما يتبقّى يُرمى قبل أن يفسد، يا إلهي، ما ألذّ لحم فخذ الغزال الطّري، وهو يسري في جوفي، شيء كالسّحر، بل هو السّحر بعينه!

مرّت الليلة الأولى، لم أصدّق نفسي، لقد نجوت!

في الليلة الأخرى، ذهبت كمحارب إلى وليمة الموت، كنت على أتمّ الاستعداد، قد ينتهي أمري هذه الليلة، لكن سأموت شبعانَ، كما تمنّيت، وهذا الشّعور المتدفّق بحدّ ذاته يدفعني نحو الموت منتصرًا.

فُرشت أمامنا مائدة عامرة، والبخار يتصاعد من أطباقها الشّهية، والرائحة من لذتها تكاد تدوخني، وفي ذلك اليوم، دخل علينا الملك، فأمرني أن أبدأ بالطّبق الرّئيس، بأن أقتطع الذّبيحة من منتصفها، عادة ما يكون السّمّ مدسوسًا في قاع الوجبة لا أطرافها، كم كان الملك متشكّكا!

كنت ألتهم دون خوف، وهو ما جعل الملك وأعوانه مندهشين، آكل بشراهة وشحم الشّواء يفيض بطراوته من بين أصابعي، ألعق بلساني الرّطب كل إصبع من أصابعي بلذّة مضاعفة، ثمّ أمدّ يدي اللزجة إلى الطّبق وأنتشل لقمة كبيرة من فخذ الذّبيحة وأحشوها في فمي، بينما يسيح دهنها على ملابسي مخلّفا بقعًا ذهبيةً، وكان همّي أن أشبع قبل أن أشهد نهايتي على يد عدوّ خفيّ أجهله تماما ويجهلني، عدو لستُ غايته!

انتهى عشاء الليلة الثّانية، ولم يكن عشائي الأخير على ما يبدو، كم كنت محظوظًا! التهمت كلّ ما كان في الأطباق، ونجا الملك كما نجوتُ بمعدة ممتلئة، لم أعبئْها بهذا القدر من الطّعام منذ ولادتي.

طلبني الملك لأكون ذوّاقه الخاص، كان يستمتع بطريقة التهامي للطّعام أكثر من استمتاعه بوجبته، ومع مرور الأيّام، تفاقمت أعباء الحكم، وازداد الجياع في الخارج، وتكالبت شكوك الملك خصوصًا بعد موت أحد الذّواقين، وأخذ نصيب معدة الملك يقلّ من الطّعام.

يتناول الملك لقيمات معدودة، بينما يراقبني، وأنا أزدرد ما تصل إليه يداي، أزداد تخمةً، بينما الملك يزداد نحافةً، وكان الملك يرى في نجاتي تهديدًا مبطنًا وحيلة، يريد منها أعداؤه أن يسترخي مطمئنًا، ويستغني بها عن متذوّقه، فيكون حينها لقمة سائغة. لكن، **هيهات، هيهات!** كم كانت نبرة الملك حادة، وهو يرفع سبابته مهددًا أعداءه الوهميين!

صار مع مرور الأيّام يطلب منّي أن ألتهم نصف الولائم، بل زاد تشكّكه الصّارم إلى الحدّ الذي جعله يستغني عن تناول الأطباق، ويكتفي بتناول القليل من الفواكه فتضاعف حجمي، وصار جسمي مترهّلًا من الشّحوم، وبدا الملك كخيط رفيع كاد أن ينقطع في أيّة لحظة من شدّة نحوله.

وبعد ثلاث سنين قضيتها في القصر، قضى الملك نحبه بسبب سوء التّغذية، وظلّت المؤامرات تعيش بعده، وقد عدت إلى أسرتي التي تحسّنت أحوالها بفضل ما أرسله لها من بريق الذّهب، إلّا أنّني عدت مريضًا بالنّقرس.

تمثال الملك

في زمن غابر، تجمهر أهل قرية جبليّة نائية حول مبعوث الملك، ومعه رجال يحملون تمثالًا كبيرًا، لم يكونوا على علم باسم الملك وبطولاته، إلّا من خلال تاجر القرية، الذي ينقل لهم في مجلسه ما يحدث خلف الجبال.

حاول التّاجر وصف ملامح الملك لهم، لكنّها ظلّت غامضة لهم، خصوصًا أنّه لم ير وجهه إلّا في التّمثال الكبير المنصوب في السّوق، لذلك نقل لأتباع الملك هذه المعضلة: «الجبليون لا يعرفون ملامح الملك»

وحتّى لا يتكدّر بال الملك إن علم بأنّ أحدًا في مملكته لا يحفظ تقاسيم وجهه، أصدر أتباعه أمرًا بنحت تمثال لمليكهم ووضعه في مكان بارز في القرية الجبلية النّائية، لم يقدّم البلاط الملكيّ لتلك القرية خدمات سوى ذلك التّمثال، ويا لها من خدمة!

وُضِع التّمثال على كومة حجرية في وسط القرية، حتّى يراه الرّائح والغادي، اقترح بنّاء القرية موقعًا آخر لأتباع الملك؛ فهو يستفيد من الكومة باستخراج الصّلف، وهي شرائح حجرية مناسبة لتبليط

أرضيات البيوت وجدرانها الخارجية، لكنّ تدخّل التّاجر وبعض وجهاء القرية، جعل ميزان اقتراحه خفيفًا.

كانت نساء القرية يقتربن من التّمثال بحذر، ويحرصن على تغطية وجوههن حياء، ثمّ قمن يتهافتن عليه مسحًا وتلميعًا، حتّى يبرق تحت أشعة الشّمس، وكأنّه قطعة ذهب إلى أن انتهى بهنّ المطاف للتّبرك به، وتقديم النّذور، بينما أخذ الرّجال ينحنون أمامه مبدين الولاء الكامل له والذّود عنه في مختلف الظّروف، أما الأطفال فإنّهم عندما يقفون أمامه يشعرون بالدّهشة لما يقوم به الكبار، فهم لا يرون فيه سوى ملامح متحجّرة.

بعد أن بعث البلاط للقرية معلمًا وطبيبة بدأ النّاس ينشدون للتّمثال أغانٍ تبجّل مكانته الرفيعة، لكن سرعان ما تدفّقت أصواتهم بحماس مفرط، داعين الله أن يمنحه الصحّة والعمر المديد، ليكون ملاكهم الحارس إلى أبد الآبدين.

في أحد الأيّام وصلت إلى القرية فرقة من المسلّحين، يحمل أعضاؤها لوحاتٍ مرسومةً لوجه شاب، وقد اجتمعوا بكبار أهل القرية، وأقنعوهم بتعليق اللوحات في بيوتهم، كما أقنعوهم بأمور أخرى، وقبل أن يغادروا حطّموا تمثال الملك بمساعدة شباب القرية، بينما كان أهل القرية في ذهول يتساءلون: ما معنى طاغية؟!

لوحة الملك الفحمية

استاء ملك البحار من هدية، وصلت مجلسه منذ أيّام عدّة، محمّلة بلوحة مرسومة بمهارة لوجه أخيه الصّغير أمير الجزر، عُرف أخوه بجمال طلّته وملامحه الوسيمة في أنحاء المملكة، على نقيض ملك البحار الذي اتّسم بالقبح وملامحه الذّميمة.

فهم الملك من إرسال اللوحة أنّ أخاه يريد أن يخبره عن الرّسام الجديد بشكل غير مباشر، فالأمير الصّغير يعرف أنّ الملك كلما أحضر رسامًا -ليطبع هيئته- انفعل بعد رؤيته لوجهه المرسوم وكسر اللوحة على رأس الفنّان، وكثير منهم لم ينج إلا بعاهة.

اقترح أحد الوزراء عليه أن يُحضرَ رسام أمير الجزر، لعلّ ريشته الموهوبة التي أظهرت الأخير وسيمًا تستطيع أن تفعل ذلك لوجهه، غير أنّ ملك بلاد البحار رفض الفكرة رفضًا قاطعًا، فهو يدرك أنّ الرسام بارع جدًّا في نقل الملامح والتفاصيل، وهذا ما يخشاه.

كان يريد أن يُخلّد عبر التّاريخ بلوحة، تجسّد الصرّامة والذّكاء في عينيه والشّموخ في أنفه والطّموح في جبينه، دون إظهار ثآليل وجهه السّوداء، التي لا يدري من أيّ جدّ ورثها، يطمع أن تبقى بطولاته

حيّة بخلود لوحته حتّى تتغنّى به الأجيال، والأفكار السّوداء لطّخت رأسه بهواجس تعِسَة:

«مهما حزت من انتصارات، فإنّ النّاس عميان عن جوهريّ وجلّ تركيزهم على مظهري»

ذاعت شائعة مفادها: إنّ القصر وضع مكافأة عظيمة، لمن يستطيع رسم وجه الملك في لوحة ترضي الملك، حتّى وصلت إلى أحد الرّسامين المحتالين، صعلوك معروف ببراعته في تصوير أشكال غريبة لحيوانات ونباتات وأطفال ونساء باستخدام الفحم فقط؛ فهو لا يملك ثمن الألوان، ويبيعها للعابرين بأزهد الأثمان.

أراد هذا الصّعلوك أن يحظى بحياة مرفّهة لأيّام عديدة في القصر، وأن يشبع معدته ببعض الطّعام الفاخر، فعزم أن يذهب إلى القصر الملكيّ، وهناك جلس في قاعة مع الرّسامين الآخرين ينتظر دوره، وخلال انتظاره تمتّع بملذّات الطّعام لأيّام معدودة.

وحين طلبوه للقاء الملك، نفخ صدره بجسارة واعدًا بنبرة واثقة: إنّ صورة الملك التي سيرسمها ستبقى راسخة في أذهان النّاس مدى السّنين.

واعتقد الملك لوهلة أنّ هذا الرّجل الذي يدّعي أنّه رسام محترف، يسخر منه حتّى كاد أن يأمر حرّاسه بقطع رأسه، لكنّه عزم أن يكظم غيظه، وينتظر حتّى ينهي عمله.

رفع الملك سبابته في وجه الصعلوك، وقال: «**إن نالت لوحتك إعجابي ستحظى بمكافأتي، وإن خيّبت ظنّي، فستكون وليمة لقروشي الشّرسة**».

وافق الرّسام المحتال على العرض، وطلب من الملك مهلة ثلاثة أيّام كي ينهي اللوحة، تخلّلت هذه الأيّام الثلاثة موائد فاخرة، ملأ خلالها معدته بما لذّ وطاب.

وسأله الملك: «**هل تحتاج لأجلس قبالتك حتّى تتفرّس في ملامحي؟!**» فأجاب الرّسام:

«**لقد حفظت ملامحكم الموقّرة عن ظهر قلب**»، وقدم الخدم له ألوانًا وريشة، فرفضها، وبدأ يمسح أصابعه بالفحم ويخطّط على ورقة بيضاء عريضة، وكان حريصًا على حجبها عن الأنظار.

وفي اليوم الثّالث، رفع الرّسام المحتال الغطاء عن صورة الملك، فحدّق الحضور جميعهم في اللوحة بغرابة، منتظرين رأي الملك الذي ظلّ بدوره يمعن في صورته دون أن ينطق شيئًا، لكنّه سرعان ما أطلق صوته صارخًا بصوت أرعب كلّ من في مجلسه: «**هل تسخر منّي أيّها الملعون؟! إنك هالك لا محالة**».

غير أنّ الصعلوك، فغر فمه بابتسامة فاجأت الموجودين، وكأنّه كان موقنًا من ردّة فعل الملك، فهدّأه قائلًا والابتسامة تشقّ وجهه: «**أيها الملك، لقد تعمّدت أن أرسمك رسمة تجريدية؛ لا تُظهر**

التفاصيلَ، لكنّها تبرز ملامحك البطوليّة، فالملامح تتغير مع الزّمن، لكنّ البطولات تبقى. ولا تنس يا مولاي أنّ الأبيض والأسود لونان لا يتأثّران بمرور السّنين»

هدأت سَورة الملك، متأملًا ذوبان الثّآليل في سواد الفحم، واقتنع بتفسير الرّسام، واعتقد أنّه سيُخلَّد في لوحة بهذه الطريقة.

يبدو أنّ حكمة الرّسام الصّعلوك بلغت أقاصي البلاد وما جاورها، حتّى صار النّاس وملوك البلدان الأخرى يستخدمون هذا الفنّ، وعرفوه بالمدرسة الفحميّة، ولم يرسم المحتال بعد تلك اللوحة غيرها، وعاش متنعّما بمكافأة الملك، وقبل وفاة الملك شاع أنّه أكثر ملوك التّاريخ وسامة فوق سطح الأرض.

أمّا المدرسة الفحميّة في الفنّ، فقد توقّفت بعد أن عُرِضت بعض لوحاتها في ساحة عامة، وتساقط مطر أثناء العرض، فأزال سواد الفحم.

حاملو اللواء

تقلّبت أحوال البلاد في الأعوام الأخيرة، منذ خروج ثُلّة من الذين يدعون أنفسهم بالكتبة، ووقوفهم أمام قصر الملك مطالبين بوضع حدٍّ للمجاعة المتفشّية، بعد هلاك كثير من الناس جوعًا كما يدّعون!

وتمكّن جنود الملك -بأوامر عليا- من ملاحقة هؤلاء المتلاعبين بعقول النّاس البسطاء وزجّهم في السّجون، فلولا هؤلاء الكتبة وبثّهم السموم لبقيت المملكة تعيش بسلام لدهور، ومضى حال النّاس كما كان في زمن حكم السّالفين، لكن يبدو أنّ الحظّ التّعِس للملك، جعل حكمه يتزامن في زمن الكتاتيب وظهور الكَتبة، وكان مضطرًّا لمسايرتهم، حتّى لا يوصم بالجهل في مقابل المالك الأخرى المتحضّرة.

اقترح عليه الوزير الخاص قبل سنوات، وهو الذي عُيِّنت مكانه، أن يأذن بفتح كتاتيب لتعليم النّاس القراءة والكتابة وتدوين المخطوطات العلميّة منها والطبّية والثّقافيّة وتخصيص سوق لهذه المخطوطات لعرضها وبيعها، وهذا من شأنه أن يشغل

النّاس بمتابعة العلوم وإقناعهم أنّ قليلًا من العلم خير من كثير من المال.

للأسف كادت مشورة الوزير الأحمق السّابق أن تودي بحكمه، فالكَتبة حرّضوا النّاس على الثّورة والإطاحة بعرش الملك، بدعوى أنّ الملك لا يقوم بدوره، وهو ممثّل لإرادة الشّعب، وموجود لخدمتهم ورعاية مصالحهم.

تدارك الملك خطأه سريعًا، وأمر بقطع رأس وزيره السّابق، وأمر بالسّجن لأولئك الكتبة المحرّضين، بتهمة العصيان والزندقة، في سراديب تحت الأرض، أشرفت شخصيًّا على سلب قدراتهم العقليّة، كما أمرني الملك.

صودرت الكتب التي تتلاعب بعقول الشّعب، وحُرقت وسط سوق المخطوطات، وحلّت محلّها كتب تسرد بطولات الملك، وتدعو للتّرفيه، كما خُصِّصت الكتاتيب لحفظ الآيات التي تحرّم العصيان، وأُصدِر قانونٌ يَتّهم بالزندقة كلَّ من يقرأ كتبًا لا تعترف بها المملكة، وانصاع النّاس، وشعروا بالخوف وكادوا يخشَون من ظلالهم، فيد الملك أصبحت من حديد.

بعد تلك الأحداث المضطربة، سكنت الأوضاع قليلًا، فجاء أحد الكتبة إلى القصر، وطلب مقابلة الملك شخصيًّا، فذهلتُ من جسارته ومن ثقته العالية بنفسه، وماذا يريد هذا المدعو بالخاطّ،

وهو من الكتابة، أشد أعداء الملك خصومة؟!

ارتأيت أن أسمع ما لديه قبل أن أسمح له بمقابلة الملك، لكنّ أسلوبه وإصراره على لقاء الملك شخصيًّا لم يترك لي من حيلة، فحدّدت له موعدًا، وحين وقف في حضرة الملك انحنى احترامًا وتبجيلًا، ثمّ قال بلهجة واثقة: «أيّها الملك الميمون، يا صاحب السّموّ والقداسة، إنّ لديّ آراء ثمينةً، أعرضها عليك للبيع».

لوهلة دُهش الملك، فأيّ الكَتبة هذا الذي يقف أمامه ويعرض آراءه للبيع وكأنّه في سوق؟! لطالما كان يدرك مدى وقاحة هؤلاء الكّتبة، لكنّه عزم أن يجاريه، فردّ عليه مستخفًّا به:

«وهل ستبيعها لي بالجملة أم بالمفرد؟!» ثمّ أطلق قهقه عالية وارتجّت القاعة بالضّحك».

غير أنّ الخاطّ ابتسم، وقال بثبات: «سيّدي الملك، لعل صيتي لم يصل مملكتكم، إلّا أنّني أنتمي لمنهج غايته هداية الشّعوب ووأد الفتن التي تهدّد عروشكم، عبر آراء نصوغها بأسلوب يقنع البسطاء المعدمين بأهمّية طاعة الملك وتقديم الولاء له».

أعجبت نبرة الخاطّ الملك، فسأله متوجّسًا: «وهل تستطيع أن تلين ثائرة شعبي، فهي قائمة على أشدّها هذه الأيام؟»

فرد عليه المثقّف بصوت فخور: «أعدك -أيّها الملك- أنّ شعبك سيخضع تحت سلطانك خلال مدّة قصيرة، بل هم من سيحاربون

أولئك الكتبة المزيّفين الذين يريدون هلاك البلاد والعباد».

ثمّ طلب الخاطّ من الملك بعضًا من أعوانه يساعدونه في مساعيه، على أن يجالسوه لأيّام عدّة، كي يلقمهم ويلقنهم الخطب التي سيمضغونها، ويقدمونها للنّاس في مختلف أرجاء المملكة.

وحرص الخاطّ على دسّ هؤلاء الأعوان في كلّ أنحاء في البلاد وفي الأماكن التي يحتشد فيها النّاس، ومعهم لواء صغير يُعطى فقط لمن يتحقّق ولاءه، كما منحهم ميزانية خاصّة، فوافق الملك عليها.

وعيّن في السوق عطارًا حذقًا، يبخّ النّاس كلامًا جميلًا، ويمجّد ملك البلاد، وعيّن في المسجد إمامًا جديدًا، يخطب في الرّجال أوقات الصّلاة، ويدرّس الأطفال في الكتاتيب قصائد المديح، وطلب من الدّاية أن تطوف على البيوت، ليس في أوقات الولادات فحسب، بل في كلّ حين، وتنشر بين النّساء شائعات القصر، وتحثّ على تسمية أطفالهنّ بأسماء تتوافق وسياسة البلاط.

وبعد مرور عام، عادت البلاد إلى سابق عهدها، فلا النّاس ثارت، ولا تجرّأ أحد من الكتبة على التّلاعب بعقول النّاس، فقد أصبح كلّ أولئك النّاس البسطاء حاملي لواء الملك، وعاش الخاطّ متنعّمًا في قصر منيف، يبيع آراءه في بلاط ملوك آخرين.

نفايات الشّعب

كانت البلاد في هرج ومرج عن احتفال الأزياء الكبير الذي سيقيمه الملك، وعن الزّيّ الذي سينافس الملك به الملوك الآخرين في هذه المناسبة، عرض عليه أشهر الخيّاطين في البلاد تصميمات مختلفة، لكنّه لم يقتنع بها، فهو يبحث عن شيء مختلف يميّزه عن بقية الملوك القادمين من الممالك الأخرى.

لست خياطًا للثّياب، ولم أرث من أبي شيئًا سوى الفقر، فقد ولدت في حيّ النّفايات، كانت أمّي تبيع المعادن التي تلتقطها من كومة النّفايات، تربّيت مع تلك الخردة، وتعلّمت تركيب أشياء منها كائنات تصير إلى هيئات بشريّة وحيوانيّة، وأحيانًا تتشكّل لتغدو شكلًا مشوهًّا، لكن بطابع فنّيّ يعجب بعض الأذواق.

مرّة أعجب أحد الفلاحين بشكلٍ، صنعته فاتّخذه فزّاعة لحقله، يطرد بها الغربان وأعطاني ذرة بديلًا لها، كنت في السّابعة من عمري حينها -ومنذ ذلك الحين- صارت هوايتي صناعة هيئات غريبة من النّفايات التي ألتقطها من الكومة التي صارت مصدر رزقي، ألملم الخردة وأعرض ما تصنعه يداي للنّاس.

حين سمعت أنّ ملك البلاد يبحث عن زيّ، فكّرت أن أصنع له ثيابًا من عدّتي التي أجمعها، وبقيت أيامًا أجمع ما يفيض من أشياء النّاس، ولحسن حظّي كانت النّفايات كريمة معي، فقد لملمت الكثير من قطع معدنيّة وخشبيّة وجلديّة وبقايا أقمشة ذات أشكال وأنواع متباينة.

لم أكن أضع عادة مخططًا لما أودّ صنعه، فما إن أُعمل يديّ فيما أحصل عليه، حتى تتخلّق الهيئات التي تفاجئني شخصيًّا، وبقيت يداي تعمل لليال متواصلة على تركيب القطع بلا تخطيط مسبق، كان يهمّني أن أصنع زيًّا، يليق بمكانة ملكنا، وتظهر قوّة شخصيّته ومدى جبروته أمام أعدائه.

عندما انتهيت من وضع آخر اللمسات تنحّيت جانبًا أتأمّل الكائن المهيب الذي صنعته، وكان من الصّعب عليّ أن أخفي مدى إعجابي وغرابتي من الشّيء الذي تشكّل أمامي، فاستعرت عربة جاري ووضعت الكائن فيه، وغطّيته بقطعة قماش، ليبقى مخفيًّا عن أعين الفضوليين، لتكون عين الملك هي أوّل من يراه، وكانت بوّابات القصر مشرعة أمام كلّ الخياطين أو من يمثلونهم، وعندما دخلت إلى القاعة -التي يستقبل فيها الملك وفوده من الخياطين- وقفت أمام الملك، وقلت له محنيًّا كتفيّ:

«أيّها الملك الميمون، اسمح لي أن أرخي السّتار عن الزّيّ الذي صنعته خصيصًا لك».

بدا الملك ومن حوله من حاشيته متحفِّزًا، وحين رفعت الغطاء وقف الملك مشدوها، يمعن النّظر في هيئة الكائن الذي يتوق لجسد جلالته حتى يكتمل، ثمّ صرخ مذهولًا:

«يا له من زيّ لا مثيل له، إنّه يعبّر عن انتمائي لشعبي، هذا ما أريده حقًّا! شيء يميّزني ويظهر حبّ شعبي لي أمام الملوك الآخرين».

طلب الملك من حرّاسه أن يأخذوا الكائن إلى جناحه، كي يستعدّ لمراسم الاحتفال، وأمر بصرف ألف دينار لي من خزينة الدّولة.

كنتُ حريصًا على حضور الاحتفال، لأشهد ردّة فعل الحاضرين، دخلت بين الحشود، وكان النّاس خارجين من بيوتهم محتشدين في السّاحة الكبيرة، حيث يجتمع الملوك مع ملابسهم الغريبة وهيئاتهم المختلفة، وقف هناك ملكنا متدرعًا بداخل الزيّ المهول الذي صنعته، وكان من عادة ملك البلاد -كما في كل عام من الاحتفال- أن يمرّ بالقرب من شعبه لتلقّي التّهاني والدّعوات، وحين دنا من البسطاء متباهيًا بطلّته صار النّاس -ولا سيّما الأطفال- يشيرون بأيديهم إلى أشياء متعلّقة في جسد الملك، وفجأة تناهت أصواتهم المختلطة من وسط الحشد الهائل: «انظري يا أمّي أليس هذا حذائي الممزّق الذي رميناه؟!» وآخر يقول: «أنا متأكّد أنّ هذا الدّورق المكسور يخصني»، وأخرى تعلّق: «هذه فأس زوجي المتوفّى»، «تلك ساعتي الرّملية التّالفة»، «طبقي الذي تحطّم»، «حدوة حصاننا»، «أوه، إنّه شريط شعري»، «مشط دميتي»، «عكّازة جدّتي»، «ذاك

زناري»، «إنه جلد حذائي»، «أوه، كأنّه غطاؤنا»...!

اختلطت أصوات النّاس البسطاء، وكان كلّ منهم يشير إلى شيء كان يمتلكه.. بدوا مذهولين، كيف أنّ ملكهم كان يمضي مرتديًا أشياءهم البالية، وهو يملك خزائن الأرض!

وصلت أصوات الحشود المتنافرة إلى أذهان الوفود الحاضرين من ملوك البلدان الأخرى، واستنكروا سلوك ملك هذه البلاد قائلين: **«الملك يلبس خردة شعبه، يا له من ملك! انظروا إلى شعبه، هؤلاء البسطاء، حتّى خردتهم سلبت منهم! يا له من ملك جشع!»**.

وأصوات البسطاء تهتف: **«أعيدوا لنا خردتنا، أعيدوا لنا خردتنا!»**.

تكثّفت الأصوات حتّى صارت أجسادهم تتبعها إلى حيث الملك يقف مذعورا في داخل كائن ينهار رويدًا رويدًا، فقد كانت الأيدي الممتدّة تنتشل ما كان ملكًا لها!

الملك المزيّف

كنت في كلّ ليلة أتسكّع مع ندمائي، نحتسي مشروبًا رخيصًا، ونتنابز بألقاب مضحكة، نأخذها من صفاتنا، فكانوا ينعتوني بالملك المزيف؛ لأنّ ملامحي تشبه ملامح الملك على اختلاف أبّهة الملبس والمنطق.

وفي ليلة -وأنا أحتسي ثمالة كأسي- خطرت ببالي فكرة مجنونة، جعلتني أزعق فيهم بصوت النّشوة المترنّح: «يا رفاق السّكر والعربدة، حين أصير ملك هذه البلاد، سأدعوكم إلى براميل الشّراب المعتّق، وهيّا الآن هاتوا شرابكم الرّخيص؛ أكرموني لأكرمكم».

ضحك السّكارى، وصار كلّ منهم يهذي بأمنياته، ساخرين من ملك بلا تاج، يرتدي ثيابًا مرقّعة، جيوبه ممزّقة، يقضي نهاره يصرخ على زوجته، وهي تلعن اليوم الذي تزوّجت به، وتماشى مع حماسه تلك الليلة أحد الشّاربين قائلا بصوت مثقل: «ستصير ملكًا، وسنحتسي شرابًا مصفى في ضيافة مجلسك كلّ ليلة، فهاج السّكارى، وانفعلوا مصفّقين ومصفّرين لملكهم الميمون».

نهضت وأنا أتخبّط في مشيتي حتّى وصلت بيتي، كانت زوجتي كالعادة تنتظرني عند باب البيت، تطلق لعنات اعتدت على سماعها كلّ ليلة، غير أنّي قلت لها هذه المرة بصوت ينمّ عن غيظ: «**يا امرأة الشّؤم، سيصير زوجك السّكير هذا ملكًا، وسيتزوّج بأميرة تليق به**».

أطلق ضحكات عالية، كادت توقظ الصّغار النّيام، ثمّ قالت بنبرة متشفّية: «**يومها سأرقص أمام الملأ أيّها الملك العربيد، هيّا اذهب إلى النّوم يا نذل؛ فلديك غدا عمل**».

استيقظت صباحا، واسترقت السّمع لصوت جارة زوجتي، وهي تحدّثها أنّ زوجها -الذي يعمل طبّاخًا في القصر- سمع أنّ الملك مهدد بالقتل من قبل جماعات في البلاد الأخرى، وأنّه كثّف حراسته وصار يدقّق في كلّ من يدخل القصر، وأنّه عيّن مراقبًا على الطّبّاخين الذين يعدّون الطّعام، والذين يوفّرون الشّراب خشية أن يدسَّ أحدهم السمّ فيه.

لا أدري كيف حملتني قدماي إلى بيت جارنا، أحد طهاة القصر طالبًا منه أن يأخذني إلى قصر الملك، ارتاب الجار من أمري، فهي أوّل مرة أتحدّث معه؛ فرفض طلبي، لكنّني أقنعته بأنّني لو هذّبت لحيتي وأنقصت وزني سأكون شبيها للملك، وقد ينفع ذلك الملك، كما هدّدته بأن أشيع في المدينة أنّه يسرق مؤونة وأواني من مطابخ القصر، ويوزعها على أقاربه.

فوافق وذهبت برفقته إلى القصر، ودبّر لي لقاء مع وزير الغذاء الملكيّ، فالتقيته وأخبرته عن امتلاكي لوسيلة تنقذ الملك من شرّ أعدائه وتحميه.

فحص الملك هيئتي، مستغربًا تشابه ملامح وجهي العريض وعيني الغائرتين وجبهتي البارزة وذقني الدقيق. قلت له متلعثمًا: «**انظر إليّ أيّها الملك، إنّني أشبهك، وحتّى رفاقي يلقّبونني بالملك المزيّف، بإمكاني أن أحلّ مكانك وقت ما تريد اختبار أعدائك لأحميك دون أن يعلم أحد بذلك**».

أُعجِبَ الملكُ بالفكرة، لكنّه ظلّ مرتابًا، وسألني: «**ما مصلحتك بأن تغامر بحياتك؟!**»

أجبت مرتبكًا: «**نحن فداؤك، وحياتك حياة للشّعب**».

كان خيالي سابحًا في براميل الشّراب التي سأحتسيها كلّ ليلة إن غدوت ملكًا ولو مزيّفًا، وأردفت:

«**وماذا تساوي حياتي الرّخيصة أمام حياتك الثّمينة لهذه البلاد، روحي فداك أيها الملك**».

طلب منّي أن أتخلّص من حياتي الماضية، وأن أستقرّ هنا في جنبات قصره، وألّا يعلم بالأمر حتّى أقرب أعوانه، خضعت لنظام غذائيّ لتخفيف شحومي، وقام حلاق الملك بتحديد لحيتي بالهيئة الملكية وارتديت اللباس الملكيّ، وكنت أعيش في جناح خاص قرب

أجنحة الحريم حتّى لا يراني أحد من حاشية القصر، وحين يرغب أنّ أحلّ محلّه في أيّة مناسبة، يبقى هو في الجناح وأذهب مع الحرّاس، وحين أعود أنقل له ما دار في اللقاءات التي عادة ما تكون احتفالية، ولا تتطلّب منّي الدّخول في أحاديث رسمية.

ومع احتدام النّقد وتطاول المعارضة أصبح الملك مرتابًا، وظلّ يلازم جناحي، ومرّت الشّهور، وأنا أزداد رونقًا بفضل الأنبذة المعتقة؛ بعثت ببراميل لندمائي السّابقين، كان الوزراء يوقّرونني، والحرّاس حريصين على حمايتي، والطّهاة يجتهدون في إرضاء معدتي، لم يعكّر صفو حياتي شيئًا، لكنّ ما كنت أخشاه حقًّا زوال هذه النّعم والعودة إلى حياة الفقر، لعن الله تلك الحياة البشعة!

مع الوقت توسّعت سلطتي، وصار الملك من رعبه يلازم جناحي المظلم، كنت حريصًا بدوري على نقل الأخبار المزيفة عن أعدائه المتربّصين ومدى خطورتهم، حتّى أكفل بقائي لأطول مدة مرفّهًا!

وفي ليلة ظلماء كنت أتمشّى مترنّحًا في حديقة القصر، أطارد جارية بعيدًا عن الحراس، وإذا برجل ملثّم دنا منّي وفي يده خنجر مسموم صوّبه نوحي، كنت أتراجع للوراء، وأنا أقول له متفصّدًا عرقًا وصوتي يرتعش: «**لا لست الملك أنا مجرّد رجل معدم، أنا مزيّف، أرجوك لا تقتلني، لست الملك، أنا شبيهه، صدّقني، الملك هناك في الأسفل، في الجناح المظلم**».

مات الملك... مات الملك! تفشّت هذه العبارة في أنحاء المملكة كلّها، وحين سمعه الملك المختبئ في الجناح المظلم أدرك أنّ الأعداء تربّصوا لشبيهه، خرج بكامل طلّته إلى مجلسه ليخبر وزراءه أنّ الأعداء قتلوا شبيهه، وأن تلك الصّفقة التي عقدها معه أنقذت حياة ملكهم.

لكن الوزراء رفضوا تصديقه واتّهموه بانتحال شخصية الملك خصوصًا أنّ هيئته قد تغيّرت، فقد زاد وزنه وطالت لحيته، وأمروا الحراس بقذفه خارج القصر، فظلّ الملك يردّد: «**أنا الملك، أنا ملك هذه البلاد، أيّها الوزراء الحمقى سوف أقطع رؤوسكم جميعًا، اتركوني، أنا الملك، أنا وحدي الملك، لم أمتّ ما أزال حيًّا، ذلك الرّجل كان شبيهي!**».

يقال، إنّ هذا الرجل الذي صار يدّعي أنّه الملك، اعتنى به مجموعة من السّكارى، كانوا ينحنون له كلّما دخل الحانة.

وريثة العرش

كان يبدو للجميع أنّ ملك بلاد الذّهب محظوظًا ببناته التّوائم الثّلاث، فكلّ واحدة منهنّ تتمتّع بقدر كبير من الجمال والأناقة والذّكاء والموهبة، بالإضافة إلى تمتعهنّ بثراء فاحش، فكلّ ثروات الملك الأب من جواهر وذهب وماس كانت من نصيبهنّ.

«**كم أنا ملك محظوظ!**».

ظلّ منذ ولادتهنّ يردّد هذه العبارة، لكنّه توقّف عن ترديدها حين أشار عليه وزيره الحكيم أن يقوم بترشيح واحدة من التّوائم الثّلاث لتكون خليفة عرشه.

كان خيارًا صعبًا على روح الملك المرهف، فهو يحبّهنّ بالقدر نفسه، ويقدر مدى صلاحهنّ لإدارة شؤون البلاد من بعده، لكن عليه أن يختار واحدة منهنّ فحسب لإدارة شؤون البلاد والعباد، فالمركب الذي يقوده أكثر من ربّان قد يغرق.

وتساءل: «**مَن الأصلح بينهنّ لذلك؟!**» ظلّ لليالٍ طويلة يعاني من الأرق، ويقلّب أفكاره، وفي يوم من الأيّام اكتشف الحفّارون منجمًا من الماس، طار الملك فرحًا لذلك، غير أنّه تذكّر بناته، فخطر

له أن يتّخذ من هذا المنجم اختبارًا لهنّ؛ حتّى يرى أكثرهنّ حكمة وأكثرهنّ كفاءة للحكم من بعده، من غير أن يشعرن بتفضيله إحداهنّ على الأخريين.

أمر الملك بإقامة مأدبة كبيرة، يدعو إليها ملوك ووزراء الدّول المجاورة، أراد أن يشهدوا تلك اللحظة المهيبة، لحظة انتخاب ولية العهد، أراد أن يتفاخر بتنافس بناته التّوائم الثّلاث؛ فسيستعرض في ذلك الحفل قوّتهنّ وذكاءهنّ، ليعرف أيهنّ أجدر لقيادة البلاد. كان الملك يثق ببناته ومدى حبّهنّ له ولبلادهنّ.

شهدت البلاد حفلًا كبيرًا، لم يكتف الملك بدعوة الملوك والوزراء بل إنّه سمح لشعبه بالحضور، فضجّت السّاحة العامة بكثير من النّاس؛ ليشهدوا اختيار الملك لمن يخلفه على العرش، وكانوا يدركون أنّه خيار صعب، فكلّ واحدة من بناته كانت تحظى بالقدر نفسه من المقام الشّاهق والتّقدير العظيم.

وقفت التّوائم الثلاث في حضرة أبيهنّ، وكنّ متماثلات في ملامحهنّ لولا تمايز لون أعينهنّ، فإحداهنّ زرقاء العينين، والثّانية عيناها خضراوان، أمّا الثّالثة فتمتّعت بعينين عسليتين، لكن ما ميّزهنّ حقًّا تشابههنّ رغم اختلاف اهتماماتهنّ؛ زرقاء العينين ماهرة في تصميم المجوهرات، وقد أظهرت براعتها بصياغة عقد ألماس وضعته حول جيدها يسحر النّاظرين ببريقه، أمّا صاحبة العينين الخضراوين، فقد تميّزت بإعداد أشهى أصناف المأكولات

بتوابل تقوم بإعدادها شخصيًّا، وتحتفظ بسرّ وصفاتها لنفسها، وقد أعدّت كعكة مزينة برقائق الذّهب وقدّمتها لأبيها في عيد ميلاده الماضي، لكنّ ذات العينين العسليتين بدت خجولة؛ لا يبدو أنّها تتمتّع بمواهب كالأختين الأخريين، غير أنّ الخادمات المناوبات على القصر وعلى رعايتهنّ طالما تحدثن أنّ الشّيء الوحيد الذي تفعله طوال يومها أنّها تمسك كتابًا وتبقى متشبثة به حتّى أثناء تناول وجبات الطعام.

سرعان ما أعلن بواق الملك بدء المنافسة، سأل الملك ابنته ذات العينين الزرقاوين، وهي واقفة تستعرض بريق مجوهراتها الفخمة: **«ماذا ستمنحينني يا ابنتي الغالية مقابل منحك منجمًا من ألماس؟»**

قالت الفتاة بثقة: **«سأصنع لك تاجًا مرصّعًا بمجوهرات نادرة، لم يسبق أن رآها بشر على وجه الأرض»**.

فهتف النّاس إعجابًا، وحسد الملوك والأمراء الملك على ابنة بمثل موهبتها الفذّة، ثمّ التفت الملك إلى ابنته خضراء العينين، وسألها: **«ماذا ستقدّمين لي يا ابنتي العزيزة مقابل منحك منجمًا من ألماس؟»**

قالت الفتاة بصوت محبّب: **«سأعدّ لك أيّها الملك طعامًا لم يذق مثله أحد على وجه الأرض»**.

تلمّظ النّاس من اللذة، كم اشتهوا تذوّق أطباقها ولو لمرة واحدة في حياتهم! وجدوا الملك محظوظًا بابنة ماهرة مثلها.

ثم تقدّمت الفتاة ذات العينين العسليتين من والدها، فسألها الملك مثلما سأل الأختين:

«ماذا ستمنحينني يا بنيتي المحبّبة مقابل منحك منجمًا من الماس؟»

قالت الفتاة بصوت مشوب بالنّقاء: **«سأحكي لك الكثير من الحكايات التي ستملأ وقتك حكمة ومتعة»**.

ماذا؟ حكايات؟! ماذا قالت تمنح الملك: حكايات؟! ما فائدة هذه الحكايات؟! ماذا يفعل بها الملك؟ هل ستضاعف من ثروته أو تحميه من أعدائه؟! يا لها من فتاة أنانية جشعة، تريد الاحتفاظ بالثّروات لنفسها دون أن تتجشّم عناء تقديم شيء لوالدها الملك!

أثار ما قالته الفتاة للملك لغطًا واسعًا بين الحضور، وبدا الاستياء على وجوه ملوك وأمراء الدّول المجاورة، شعر الملك بإهانة، فحسم غضبه بأن أمر حرّاسه أن يضعوها في زنزانة؛ وقال في هياج:

«تهديني حكايات؟ مجرّد كلام! يبدو أنّ الكتب التي كانت تقرأها سلبت عقلها، لتبقى هناك حتّى تعقل».

وانفضّت المأدبة...

بعد أسبوع داهمت الملك حمّى شديدة، شلّت أعضاءه، بقي طريح الفراش، وأثناء مرضه تكدّرت شهيّته؛ بقيت كلّ أطايب الطعام الذي كانت ابنته الطّبّاخة الماهرة تعدّها له على حالها، لم يذق سوى رشفات من الحساء، وظلّت مفاصله تؤلمه رغم أنّ ابنته الأخرى

صمّمت له سريرًا من أعمدة الذّهب، وكانت وسائده وأغطية السّرير مطرّزة بخيوط الذّهب، لكنّها لم تكن تسكن حالته بل كان يشعر كما لو أنّه ممدّد على فراش من الصّخر.

ساءت حالة الملك، لم يكن يهنأ بالنّوم، تعكّر مزاجه، صار يغضب سريعًا، كما لو أنّه طفل، وحين قدّمت له إحدى الخادمات الغداء تناول سكينة الطّعام المرصّعة بالذّهب، وكاد أن يطعن نفسه؛ لولا أنّها سقطت من يده المرتعشة.

صار الملك محاطًا بحراسة مشدّدة، تحميه من نفسه ومن حالات الاكتئاب التي داهمته كعاصفة ثلجية عجز أمهر الأطبّاء عن معالجتها، وحين سمعت ابنته صاحبة الحكايات ما حلّ بوالدها، طالبت الحرّاس بأخذها لرؤيته، وسمحت الأختان بذلك؛ فقد كانتا منهكتين من الاعتناء بوالدهما الذي ظلّت أحواله الجسديّة والنّفسيّة تتدهور يومًا بعد يوم.

وحين وقعت عيناها على والدها سالت الدّموع على خديها، لقد بدا في حالة يُرثى لها، وعزمت أن تعتني بوالدها، وظلّت معه لا تفارقه ليلًا أو نهارًا، تعتني بمأكله ومشربه، وتحكي له -في الليل- حكايات سبق وقرأتها من كتب متعدّدة؛ يسمعها حتّى يغفو على صوتها المشبع بالخيال والمغامرات والحكم، فيستيقظ في اليوم التّالي بنشاط متحمسًا لإكمال الحكاية.

وتحسّنت أحوال الملك النّفسيّة، فلم يعد بحاجة للأدوية، وانفتحت شهيّته للطّعام والحياة، وبعد شهر تحسّنت أحواله الجسديّة، وصار بإمكانه التّجوّل في حديقة القصر، وكانت بناته الثّلاث برفقته.

أدرك الملك الخطأ الذي اقترفه، وعلم أنّ الكلام قد يكون أغلى من الماس وأشهى من الطعام؛ واعتذارًا لابنته أمر بإنشاء مكتبة ضخمة، فما كان لها أن تعرف كلّ تلك الحكايات وتسرد له الخيالات العجيبة والمغامرات الشّائقة والحكم الثّمينة لولا مطالعتها لكتب الحكماء.

لم ينتخب الملك ابنته الحكّاءة، لتكون وريثة عرشه، إنّما تنازلت لها الأختان عن طيب خاطر؛ لما أظهرته من حكمة وتواضع.

لعنة المرايا

صُدمت المِلكة بعد ولادتها لطفلة تشوّه وجهها ثآليلُ سوداء، غلبها الظّنّ في لعنةٍ سُحرت بها وأثّرت في وجه مولودتها.

كانت على يقين أنّ غاية اللعنة تقويض سلطتها، لذا عزمت أن تسخّر جلّ قوّتها لمواجهتها، واتّخذت مختلف التّدابير لتحقيق مرادها، فأمرت الدّاية بكتمان الأمر وهدّدتها بالعقاب إن باحت بسرّ تشوّه الأميرة.

أبقت الملكة طفلتها في مأمن عن الأنظار، وأحاطتها بغطاء يستر وجهها، ثمّ أعلنت في أنحاء المملكة عن ولادة طفلة فريدة من نوعها؛ ليس لأنّها موفورة الصّحّة فحسب، بل لأنّها باهرة الجمال بديعة المنظر، وأنّ إحدى السّاحرات أمرتها أن تحرص على إخفاء وجهها عن عيون النّاس وعن المرايا، ولا تكشفه لأيّ أحد، حتّى لا تطارد لعنة شريرة المملكة وشعبها.

وكي لا ترى الأميرة وجهها حين تكبر، أصدرت الملكة الأم قرارًا حازمًا بمنع المرايا في القصر وفي مختلف أنحاء المملكة، فخلت البلاد بطولها وعرضها من المرايا، وطورد كلّ من امتلك مرآة، وعوقب بالسّجن من يخالف قرار الملكة الأم.

تشاغل النّاس بحكاية وجه الأميرة، رددوها وكأنّها أسطورة من الأساطير، وكبرت الأميرة الصّغيرة مع ساتر وجهها، الذي ظلّ لا يفارقها مهما حضرت من مآدب أو حضرت مناسبات، ظلّت تثير فضول مَن حولها في المحافل؛ وآمنت الأميرة في قرارة نفسها بأنّها أجمل امرأة في الكون كما آمن الجميع بذلك.

وكان على النّساء في المملكة إيجاد حيل لرؤية وجوههنّ، عبر الملاعق الكبيرة أو الصّفائح المعدنية النّاصعة، لكنّها لم تكن وسائل مجدية وذات فاعلية، حتى اكتشفن أنّ البحيرة هي الوسيلة المثلى لذلك، وتزاحمت النّسوة حول البحيرة دون أن يثير ذلك ريبة أحد، فقد اعتدن على الذّهاب إلى البحيرة مرات عديدة في اليوم لإحضار المياه، وغسيل الملابس والاستحمام، وحين تناهى أمر البحيرة إلى الأميرة من الوصيفة المرافقة لها، عزمت أن تجرب حظّها، لكنّ نقابها كان يمنعها من رؤية وجهها المنعكس في صفحة ماء بحيرة القصر.

صار فضولها يتضاعف مع الزّمن، وصارحت أمّها الملكة برغبتها الكامنة لمشاهدة وجهها الذي يخلب الألباب -على حدّ وصفها- فالملكة الأمّ هي الوحيدة المسموح لها رؤيتها دون غطاء، وصارت مع الأيّام تلحّ في طلبها، وتعبّر عن امتعاضها الشّديد، فكيف يمكن أن تخلو بلادها من المرايا بوجود أميرة فاتنة مثلها؟! هذا الأمر -تحديدًا- كان يثير ريبتها! لكنّ الملكة الأمّ في كل مرّة كانت تثنيها

بحزم وتحجم رغبتها، مذكّرة إيّاها بنبوءة إحدى السّاحرات عند ولادتها؛ بوجوب منع المرايا وتحطيمها في مختلف أنحاء المملكة، حتّى لا يتشوّه جمالها الصّارخ.

وانطلت كذبة هذه اللعنة على الأميرة، كما انطلت على شعب المملكة أجمعين، وكبرت معها، حتّى بلغت سنّ الزّواج، وأُعلن في أرجاء المملكة عن رغبة الملكة في تزويج ابنتها من رجل نبيل، فليتنافس المتنافسون، وكان الشّرط واضحًا للعيان، وهو أن يتقبّل الأمير المتوّج بالزّواج منها لعنتها، وألّا يسعى لكشف وجهها مهما استبدّ به فضوله؛ كي لا يقع المحظور.

اشتعل فضول أحد أمراء الممالك المجاورة بالأميرة المنقّبة، وقبل بشروط الملكة الأمّ، فأقيم حفل زفاف باذخ، حضره حشدٌ من الملوك والأمراء، يدفعهم شغفهم، وكم تمنّوا في قرارة أنفسهم أن يتدلّى هذا السّاتر الذي يخفي سحرها منزلقًا؛ ليحظوا بفرصة تأمّل جمالها النّادر من نوعه، كما نالت منهم الغيرة على حظّ الأمير الذي غدا زوجها.

وبعد مرور شهور على زواج الأميرة تفشّى في المملكة وباء غريب، حمّى تترك بقعًا على وجه المريض، وتفشّت العدوى، وعبَرتْ وجوه جميع من في المملكة، وغزا التّشوّه البلاد كلّها، وبعد أن عمّ المرض أرجاء المملكة أعلنت الأمّ الملكة أن ابنتها الأميرة ستكشف وجهها، فموجة المرض لم تستثنها، ومع هذا البلاء أصبحت الوجوه سواء،

كذلك سمحت بعودة المرايا وتصنيعها في المملكة، فليس ثمّة داع لمنعها الآن.

حين رأى من في المملكة وجه الأميرة لأوّل مرّة أخذتهم الحسرة على حالها، لقد دمّر المرض جمالها الباهر الذي ظلّ لسنوات مخفيًا عن العيون، يا لها من أميرة مسكينة! هكذا ظلّوا يردّدون كلّما حدّقوا في وجهها المشوّه بالثّآليل، وحين رأوا وجوههم في المرايا قرروا تكسيرها.

النّاطق الرّسميّ

إنّه ليوم مشهود في مملكة الجبال، فرغم مظاهر الحزن البادية على وجوه النّاس لمفارقة زعيمهم الذي ضحّى بخمسين عامًا من حكمهم بالعدل والمساواة ورغد العيش، لكنّهم في الوقت نفسه فرحين لولوجهم عهد زعيم جديد، سيضحّي هو الآخر بنفسه لتحقيق الرّخاء لهم.

في مملكة الجبال يبقى الزّعيم حاكمًا مدى الحياة، ولا يسقطه عن عرشه سوى الموت، ليس لأنّ نظام حكمهم متوارث، يتلقّف الابن عن أبيه السّلطة، بل لأنّ لديهم ميثاقهم الخاص في تعيين الزّعماء، وشروط تعيين الزّعيم لا يطيقها سوى الذي يتمتّع ببأس وقوّة، والأهمّ من كلّ ذلك بقدرة جبّارة على التّضحية، كي يستحق المكانة التي يتأهّل لها.

جهّز رجالات المملكة المنصّة التي سيتوّجون عليها زعيمهم الجديد الذي لا يعرفونه بعد، فاختيار الزّعيم لا يكون بالتّوارث أو بانتخاب أهل الرّأي والنّفوذ والخاصّة واحدًا منهم، إنّما يتركون باب التّرشّح مفتوحًا لكلّ فرد من أفراد المملكة، يتقدّم الذي يجد

نفسه مؤهّلًا، دون تدخّل من الآخرين، وتبارك له القبيلة تضحيته العظيمة تلك.

كانت الأمور تمضي كالمعتاد، حتّى شاهدوا شيئًا يتحرّك في السّماء، شيئًا منفوخًا ملوّنًا يحلّق كطير ضخم، سرعان ما جروا خلفه، وهو يتداعى رويدًا رويدًا إلى أرض قريبة من مساكنهم، في البداية توجّسوا خطرًا، فرفعوا أقواسهم وصوّبوا أسنّة رماحهم، بدوا في وضعية استعداد للمهاجمة، ولكن حين استقرّ الشّيء المنفوخ على أرضهم، وانساح كقطعة قماش، خرج من تحتها رجل مختلّ الحركة، مشى نحوهم مترنحًا، سرعان ما سقط أمامهم منهوك القوى، دنوا منه بحذر، رفع الرّجل رأسه، وأخبرهم عن تعطّل منطاده الذي هوى به إلى أرضهم.

تجمّعوا حول الرّجل الدّائخ، قاموا بلمسه، حملوه على أكتافهم مندهشين من قدرته على الطّيران، تساءلوا: «كيف لإنسان أن يهبط من السّماء؟!»، تهامسوا: «لا يمكن لأيّ فرد عادي القيام بذلك، لا بدّ أنّه شخص خارق!».

أحاطوه بهالة مقدّسة، وبعد أن استعاد قوّته نظير العناية المكثّفة التي تلقّاها من رجال القبيلة ونسائها، عرضوا عليه، ولأوّل مرّة في تاريخهم القبليّ أن يكون زعيمهم الميمون -صعق لوهلة- لكنّه سرعان ما ابتهج لفكرة الزّعامة، وتخيّل نفسه محاطًا بحاشية وجوارٍ فاتنات، وحرس يذودون عنه وأفراد يأتمرون بأمره، لو يعلم رفاقه

في بلاده البعيدة بالحال التي صار إليها، هو الذي كان مجرّد لص فار من العدالة على متن منطاد مسروق، وها هو سيتوّج زعيمًا بمباركة الشّعب.

أخبروه أنّ الزعيم في مملكة الجبال يغدو في مصاف الآلهة، فما سيبذله من تضحيات نادرة في سبيل شعبه لا يطيقها سوى إنسان من طينة الآلهة، وكلّ فرد من أفراد القبيلة الكبيرة سيكون حارسه وحاميه، فهناك من سيطعمه ويسقيه، وهناك من سيقوم باستحمامه ويلبسه ثيابه، وهناك من سيكون عينيه التي يرى من خلالهما العالم، كما يحق له كزعيم أن يتّخذ ما يشاء من زوجات.

بدا مذهولًا ممّا سمعه، وكأنّه ولج لتوّه بلاد ألف ليلة وليلة، شعر لوهلة كأنّه يسمع حكاية من حكايات شهرزاد، وخشي أن يستيقظ منها قريبًا، لكن كلّ ما حوله حقيقي تمامًا، إنّه في وسط قبيلة لو علم ملوك بلاده والبلاد الأخرى بها لماتوا غيظًا!

أيّ عاقل سيرفض ما تعرضه هذه القبيلة عليه؟! وسيكون أحمق -إن مانع ذلك- طالما أنّ جميع من في القبيلة يباركه، بل أصبحوا خدّامه منذ هذه اللحظة.

رافقه أحد أفراد القبيلة إلى مخدعه، كي يجهزه لمنصّة الزّعامة، سيكون زعيمهم بدءًا من هذه الليلة المقمرة، وكان قد مضى على وفاة زعيمهم السّابق أيّامًا عدّة، وما عطّلهم عن مراسيم التّنصيب

سوى مجيء هذا المبارك الذي هبط إليهم كنجم ساطع من الأعلى، وكأنّه ملك أرسله الرّبّ إليهم.

ألبسه الرّجل الذي رافقه قميصًا دون كم، ثمّ طلب منه قائلًا: «لطفًا يا سيّدي، اسمح لي أن أخلع عنك السّاعة التي في يدك اليسرى والخاتم في إصبع يدك اليمنى، فلا حاجة لك بهما بعد الآن».

حين سمع ذلك توقّع أن يضع أمامه صندوقًا مليئًا بالمجوهرات الثّمينة التي تليق بمقام زعيم، فقال له باستحياء: «نعم، بالتأكيد، فهذه السّاعة رخيصة والخاتم قديم لا قيمة له»، فخلعهما بنفسه ورماهما بعيدًا.

ثمّ ألبسه الرّجل سروالًا قصيرًا، وقال له: «اسمح لي يا سيّدي، أن أخلع عن قدميك حذاءيك، فلن تحتاجهما بعد الآن».

فتخيّل أنّ القبيلة ستجهّز على مقاس قدميه حذاءً من نسيج الذّهب كما تخيّل في الوقت نفسه التّاج الملكيّ المرصع بالياقوت والمرجان، الذي سيوضع على قمة رأسه حين يكون على المنصّة لحظة التّتويج، شعر بالغبطة بمجرّد تفكيره بذلك.

وقف أمام المرآة، ممعنًا في هيئته كملك، أدهشه منظره، وفكّر في غرابة الملابس التي يرتديها، وتساءل بينه وبين نفسه: «كيف لملك يتوّج بهذا اللباس المضحك؟! أين الثّياب الحريرية والجبّة الفخمة؟!»

فجأة قام الرّجل الذي جهزه بتغطية المرآة، قائلًا له: «لن تحتاج إلى رؤية نفسك بعد الآن يا سيّدي؟»

تحيّر من عبارة الرّجل، فسأله مستفهمًا: «ما السّبب؟»

قال له الرّجل ببساطة: «لأنّك يا سيّدي، ستتخلى عن عينيك للقبيلة».

سأله مندهشًا: «ما الذي تعنيه؟!»

فشرح له الرّجل ميثاق القبيلة في تنصيب زعمائها: «لأنّ الرجل في قبيلتنا لا يكون زعيمًا سوى حين يضحّي يا سيّدي، بعينيه ويديه وقدميه لأفراد القبيلة جميعًا».

تفصّد عرقه، ثم سأل بفم مرتعش، ليتأكّد ممّا سمعه من فم الرّجل: «هل زعيمكم السّابق ضحّى بهذه الأمور كلّها ؟!»

ردّ عليه الرجل متنهّدًا: «كان مضحّيًا لخمسين عامًا، وكانت أيّام حكمه أيّام رخاء»، أضاف الرّجل بنبرة حنين واضحة كما لو أنّه يودّ أن يقوم من قبره.

اسودّت الرؤية في عينيه، هل أصيب بالعمى قبل أن يسملوا مقلتيه؟! شعر بأنّهم سوف يقتادونه لمنصّة الإعدام لا منصّة التّتويج، كيف يُخرج نفسه من هذه الورطة؟! هل يهرب؟، لكن إلى أين الفرار وكيف؟!

أدرك أنّه لا خلاص له من هذه الورطة الكبيرة، أطرق فخطرت بباله فكرة مجنونة، طلب من الرّجل الذي جهّزه أن يستبقيه قليلًا في مخدعه قبل حفل المنصّة، ثمّ أسرع إلى المكان الذي وقع فيه منطاده، وأخرج بضعة أشياء، واستغرق في تركيبها، حتى صارت على الهيئة التي خالها مناسبة.

توجّه رأسًا إلى منصّة التّتويج حيث الحشد ينتظره، بدا الجميع متحفّزًا، حاول أن يقف مستقيم الظّهر وصدره مشدود، ثم ألقى عليهم خطابه المعبّر: «يا شعب مملكة الجبال، لقد فكّرت في أمر اختياركم لي زعيمًا لقبيلتكم، ووجدت أنّني مجرّد إنسان ضعيف، فكيف لكائن هشّ مثلي أن يمتلك القوّة في التّضحية؟!»

كان الحشد صامتًا، وكأنّ النّاس لا يفهمون ما يعنيه، وهذا ما جعله يرفع النّقاب عن الأشياء التي ركّبها، قائلًا لهم بحماس مدير سيرك:

«اسمحوا لي يا شعب مملكة الجبال أن أقدّم لكم زعيمكم الخالد، زعيمًا له ميزات فريدة من نوعها، لا ينطق ولا يسمع ولا يرى كما ترون، هو حيّ أبديّ، لا أطماع له في هذه الدّنيا سوى تحقيق الرّخاء لكم وتوفير الأمان والسّلام».

ثمّ ركع بحركة مسرحية أمام الهيئة ليضيف عليها الإجلال، وتابع مضيفًا: «وسأكون أنا خادمه، النّاطق الرّسميّ باسمه».

بدا الحشد مشدوهًا، وهم يشاهدون لأوّل مرّة مجسّمًا له رأس من جوزة نارجيل، له ثلاثة وجوه في جوانبها الثّلاثة، يغطّي الوجه الأوّل عينيه، والثّاني أذنيه، والثّالث فمه؛ تأكّد رجالات المملكة أنّ شروط الزّعامة تنطبق عليه تمامًا، وسرعان ما جعلهم يهتفون فرحين: «هوووياهووويا...»

جحافل الشّيطان

في ساحة المدينة الفسيحة، زعق بوّاق الملك بصوته مبشّرًا ومنذرًا في آن؛ مبشّرًا بأنّ الملك تمكّن بفضل قيادته الرّشيدة من محاربة «جحافل الشّيطان» الذين حاولوا اقتحام الحصن المنيع، والإغارة عليها بينما النّاس نيام باطمئنان، ومنّذرًا بأنّ الخطر لا يزال مسّورًا الحصن والقابعين داخله، لكن عين الملك السّاهرة من أجل راحة شعبه كفيلة بدحرهم.

ما إن أنهى خطابه المعتاد بعد كلّ غارة من «جحافل الشّيطان» كما أطلق عليهم وزير الملك، حتّى انطلقت أفواه النّاس البسطاء لملكهم الميمون: «اللهم احفظ ملكنا واجعله ذخرًا لبلادنا» بينما الصّغار كانوا يدورون في أنحاء الحصن المنيع كقافلة، وألسنتهم تلهج كما عُلّموا من آبائهم: «عاش الملك، عاش الملك، عاش الملك...»

مرّت عشرة أعوام على حادثة «جحافل الشّيطان» وما زال النّاس يوصدون أبوابهم بإحكام في الليل ولا يفتحون بواباتهم حتّى تطلع الشّمس.

كانوا مذعورين، كلّ همّهم أن يبقوا أحياء وألّا يقعوا في يد جماعة «جحافل الشّيطان» الذين لم يروهم مطلقًا، لكنّهم سمعوا بهم لأوّل مرّة من وزير البلاد -قبل سنوات- أنّهم كالحيوانات المفترسة يأكلون لحوم البشر.

ومن يومها كفّ النّاس عن الشّكوى لقلّة الموارد من طعام وشراب وأدوية، وكانوا على استعداد تام للتّضحية والموت جوعًا على رفع شكاويهم للملك الميمون، الذي ظلّ طوال عشر سنوات يحرسهم من وحوش متحفّزين خلف الأسوار العالية لمهاجمة حصنهم المنيع.

طوال عشر سنوات والنّاس يدعون ربّ العباد على أن يلطف بحالهم، ويجنّبهم الأخطار، ويمدّ ملكهم بطول العمر والصّحّة والمعافاة ليظلّ حامي الديار.

لكن بعد مرور عشرين سنة ما عاد النّاس يعيرون أهمّيّة لنداءات بوّاق الملك، الذي ظلّ يزعق بصوته وحيدًا في ساحة المدينة الخاوية، فالمجاعة اجتاحت البلاد وأهلكت العباد، الذين ما عادوا قادرين على القيام بشؤون حياتهم اليومية.

والنّاس بعد مرور عشرين سنة صارت أصواتهم لأوّل مرّة تعلو ليس بالدعاء أو الصّلاة، بل لطلب الطّعام والدّواء والماء النّظيف.

والنّاس بعد عشرين سنة زحفوا في حشودٍ إلى أسوار قصر الملك

طالبين فتح أبواب الحصن المنيع، ليذهبوا بأنفسهم لمحاربة «جحافل الشّيطان»، بينما نداءاتهم تندفع بقوّة رغم أجسادهم المنهكة: «الموت لجحافل الشّيطان، الموت لجحافل الشّيطان، الموت لجحافل الشّيطان...» فأدرك وزير البلاد أنّ الملك في «خطر» بعد - مرور عشرين سنة - من الأمن والأمان.

مدوّنو التّاريخ

عُرف ملك المدينة الكبيرة بأنّه عاشق لذاته، مفرط في تقديس نفسه، ويسعى إلى تضخيم خصاله في المحافل.

وفي يوم من الأيّام، ودون سابق إنذار، أرسل في طلب جميع مدوّني التّاريخ في أنحاء المدينة، تعجّب المدوّنون من استدعاء الملك لهم، ودبّ الرّعب في أفئدتهم، وتساءلوا مفزوعين فيما بينهم: «تُرى، ماذا يريد بنا الملك؟!» فإلى جانب حبّه الشّديد لنفسه، كان معروفًا أيضًا بجبروته وبطشه، ومشهور بنزواته التي لا يُحمد عقباها.

بدّدت الوساوس اجتماعهم، وأعدّ كلّ واحد منهم نفسه لحضور مجلس الملك، ولكن قبل ذلك، قام بعضهم بإخفاء المخطوطات التي تشكّل خطرًا عليهم، بينما أحرق آخرون -إمعانًا في الحذر- مخطوطاتهم.

امتثل مدوّنو التّاريخ لدعوة الملك، وهبُّوا إلى مجلسه الفخم في قصره المنيف، فوقفوا في حضرته، وانحنى أكبرهم عمرًا، قائلًا له بصوت يكاد يكون خافتًا من توّتره: «أرسلتم في طلبنا أيّها الملك الرّشيد، فسمعًا وطاعة، نحن طوع أمركم».

ردّ عليه الملك بصوت حازم وبلا مقدّمات: «أريد منكم جميعًا أن تقوموا بتدوين بطولاتي، وتظهروا مدى قوّة سلطاني، تخلدونني في بطون كتب التّاريخ ملكًا لا مثيل له، ليمجّدها القاصي والدّاني إلى نهاية الدّهر».

بدا طلب الملك في الوهلة الأولى غريبًا، وتساءل المدوّنون بينهم: «عن أيّة بطولات يتحدّث الملك؟!» وأطرق كلّ واحد منهم يُحصي الخسائر التي سبّبتها قرارات الملك السّاذجة، والتي راح ضحيّتها مئات الجنود، ناهيك عن تراكم الدّيون على خزينة المملكة نظير مآدب باذخة تقام على شرفه، وهو غير شريف، أضحى كثير من الشّعب ضاجًّا ومحتاجًا، وفرّ كثيرون منهم إلى الممالك المجاورة.

سبق ودوّن بعضهم هذه التّجاوزات الفظيعة في مخطوطاتهم، غير أنّهم اضطروا إلى إتلافها، حفظًا لسلامة أرواحهم، وحين أدركوا أنّ الاحتجاج ممنوع، والرفض لطلب الملك يعني قطع رؤوسهم، فامتثلوا خاضعين لأوامره، وغادروا القاعة المزدانة بأفخم الزّخارف، وهم يحنون رؤوسهم للملك.

انكبّ المدوّنون لشهور على تسجيل صولات وجولات الملك الموهومة، وفي الموعد المحدّد، ولج المدوّنون يحملون مخطوطاتهم الضّخمة على ظهورهم.

أعجب الملك بمشهدهم لحظة دخولهم قاعة الحكم، وكأنّهم حاملون تاريخًا له وزنه، ثم وقفوا في صفوف منتظمة وحمولتهم الثّقيلة لا تزال على ظهورهم مترقّبين أوامر سموّه، فأشار الملك إلى أكبرهم عمرًا أن يُسمِعه بعض ما سجّله من مآثره الجمّة.

انتشى من فرط حماسه، وهو يستمع لسجل بطولاته السّاحقة من لدن مخطوطات المدوّنين، وكم طار فرحًا من المخطوطة التي وصفت مدى اعتنائه بمظاهر العمران في أنحاء المدينة! وكم أحبّ تلك التي تحكي عن سعيه الحثيث لرفع شؤون العباد والرّعية طوال فترة حكمه الرّشيد!

سُرّ الملك بمحتوى مخطوطات المدوّنين، ثمّ أصدر أمره بنسخ آلاف الصّحف منها، ولأنّ مدوّنًا وصفه بالمفكّر اللامع أمر بإنشاء العديد من بيوت الحكمة في أنحاء البلاد؛ ليضع في رفوفها مخطوطات أمجاده، حتّى تكون في متناول الجميع.

وبعد فترة دخلت البلاد في حالة من الفوضى طال أمدها، بسبب الحرب الأهلية بين المحتاجين والمتنفّذين، وأشيع بأنّ الملك -بعد سنوات عدّة- فرّ بعد أن سُلبت منه سلطته، وحمّل جِماله جميع مخطوطاته الضّخمة، ويقال: «إنّ أعوانه هم من قاموا بتسريبها، لحفظها من التّدمير والتّلف» ومات خلالها بعض مدوّني سيرة أمجاده الوهمية، وتلفت ذاكرة بعضهم مع تقدّم العمر، وتشاغل المدوّنون اللاحقون بتسجيل مآسي الحروب والتّدمير الذي لحق بالبلاد

والعباد، ولم يتفرّغ أحد لتفنيد أمجاد الملك الهارب بمخطوطات أمجاده المتناقضة!

تقلّبت مخطوطات الملك في ديار شتّى، يقال: إنّ إحدى نسخها وقعت بيد مدوّن من بلاد الصّين يعنى ببطولات الملوك، بدت له بلاد هذا الملك مجهولة عنهم وعن ثقافتهم، لكنّه من حسن حظّه كان متقنًا اللغات، فتبحّر في صفحاته، وكلما أنهى جزءًا أبدى إعجابه الشّديد ودهشته الكبيرة حتّى أنهاها كلّها معبّرًا عن انبهاره العظيم بسيرة هذا الملك الذي لا مثيل له في بطون كتب التّاريخ التي مرّت عليه طوال حياته، فالملك كان متعدّد الأوصاف، فهو لم يكن فارسًا مغوارًا حقّق انتصاراتٍ ساحقةً في أرض المعارك فحسب -كما كتب مدونو سيرته- بل واسع الثّقافة أيضًا، أنشأ العديد من بيوت الحكمة في بلاده لنشر العلوم والمعارف بين أبناء شعبه، كما كان معنيًّا أيضًا بعمران الدّيار وزخرفة بنيانها الشّاهقة بحفريات رومانية دقيقة، جامعًا بذلك ما بين الرّونق الدّاخلي وبهاء المنظر.

وتكريماً لسيرته المضّمخة بالإنجازات، انكب على ترجمة مخطوطات أمجاده إلى لغات مختلفة، وبعث نسخ منها لبلدان عديدة مع توصيات بمدى تنوعها وأهميّتها.

يقال: بعد حقبٍ مديدة من الزّمن، أصبحت بطولات هذا الملك مثالًا يُحتذى به لحكم البلدان لطلّاب المدارس والجامعات في مختلف أنحاء العالم، وصارت مخطوطاته الثّمينة محفوظة في صناديق زجاجية

غير قابلة للكسر، تحت حراسة صارمة وكاميرات مراقبة؛ لصونها من النّهب والسّرقة، فقد كانت تُقدَّرُ بملايين الدّولارات، وظلت مرفدًا ثقافيًا وتاريخيًا لجميع السُّيّاح الذين يرتادون المتاحف.

الكرسي

عاشت بلاد العروش على مدى سنوات في حالة حرب طاحنة بين أخوين توأمين، يرى كل منهما أحقيّته بالسّلطة.

قبل وفاة والدهما سكنا في القلعة نفسها، يتقاسمان في ظلّه كلّ شيء، ظهروا متوافقين -كما ينبغي لأيّ توأمين- واعتقد الملك الأب أنّهما سيظلّان هكذا حتّى بعد رحيله، لذا لم يكتب وصيته بأحقيّة أيّ منهما في الحكم، بل كانت رؤيته الشّخصية أن يتوليا حكم البلاد معًا، بما أنّ الحياة دفعتهما في السّاعة ذاتها من رحم واحد، ولهما القدرات عينها، فلماذا يسعى إلى مخالفة الطبيعة، ليفضّل أحدهما على الآخر في تولي مقاليد الحكم؟! وكلّما نصحه وزراؤه بخطورة قراره، بددت ضحكاتهما -التي كانت ترنّ في أنحاء القصر- شكوكه، متيقنًا أنّ وفاقهما سيضمن الحياة المزدهرة للبلاد من بعده.

إلّا أن تلك الحال تبدلّت بعد مغادرة الملك، وصار كرسي العرش -الذي ظلّا يدوران حوله يمازحان والدهما المعتلي فوقه بشقاوة وهم صغار- أول شرارات الخلاف الحاد الذي ثار بينهما، حتّى انقسمت المملكة: القلاع والوزراء وقادة الجيش والشعب أيضًا.

كان كلّ منهما في جانب يحارب الآخر، كلاهما يحاول ضمّ الشّعب إلى صفّه، وتجهيز أكبر عدد من الجنود إلى صفّه بمكافآت مجزية، وبعض النّساء طلبن من رجالهنّ الانخراط في جيش أحد الفريقين ليتمتّعن بالرّفاهية الموعودة لأهالي الجنود.

لكن مع استمرار الحروب تبدّلت الأحوال، فقد أضحت ثروة المملكة المنشقّة تستهلك في شراء العتاد والأسلحة وتجهيز الجيوش، ومع اشتداد الصّراعات الدّامية قلّ عدد الجنود، واضطرت النّساء للمشاركة في الحرب الدّائرة بين الأخوين لتوفير احتياجات أُسرهنّ.

كان كلٌّ من الأخوين مُصرًا على الفوز بالسّلطة المطلقة لنفسه، ومع الوقت نفسه أصدرا قرارًا بتجنيد الأطفال فوق الثّانية عشرة، وتدرّبوا على حمل السّلاح، وأصبحوا مقاتلين، وبات جشع الملكين الأخوين يتضاعف مع الوقت لسفك مزيد من الدّماء في سبيل نيل الكرسي، فصارت الأرض تمتصّ المزيد من الدماء، وتطلب شرهة المزيد والمزيد دون أن تكتفي أو تشبع.

بعد شهور خلت البلاد من معظم النّاس، فارق كثير منهم الحياة، بينما فرّ آخرون إلى ديار بعيدة جدًّا عن تلك البلاد التي هلك فيها كلّ شيء، وتدمّرت القلاع والبيوت، ولم يبق سوى سخط الأخوين، يهدّد كلاهما الآخر.

في مواجهة بعضهما كندّين لأول مرة، استلّ كلاهما سيفه لمبارزة الآخر، وظلّا يتبارزان حتّى أُنهكت قواهما، لكنّ أيًّا منهما لم يبادر بالاستسلام، إلى أن غرس أحدهما النّصل في قلب أخيه وصرعه.

طار الملك المنتصر من الفرح وأراد أن يأمر الشّعب بإقامة المآدب احتفالًا بالفوز، لكنه لم يجد أحدًا حوله سوى أرض فارغة ومهدمة؛ ورغم ذلك لم يبال، وضع تاج الملك الذّهبيّ المرصّع بالمجوهرات على رأسه متوجّهًا بكامل لهفته إلى الكرسي، إلّا أنّه وجد أسدًا متربّعًا عليه، ومكشّرًا عن أنيابه، وقبل أن يرفع سيفه انقض الأسد عليه وافترسه.

ليلة سقوط شهريار

كان الجميع على يقين أنّ المرأة التي تدعى «شهرزاد» في قصر الملك «شهريار» الذي أغرته بحكايات غريبة عن عوالم مجهولة، ستقع في شراك الموت، ويكون مصيرها مشابهًا لزوجات الملك السّابقات حين تنضب تلك الحكايات.

ظلّت شهرزاد تحكي لشهريار ليلة بعد ليلة، وكان خوفها يتضاعف كلّما غابت الشّمس؛ فقد شارفت حكاياتها على النّفاد، وغادرت معظم الشّخصيات من رأسها، تذكّرت شهرزاد أوّل ليلة لها، كيف توقّع والدها الوزير موتها بعد صياح الديك، حتّى شهريار نفسه صعق من نجاتها، كم كانت مدينة لشخصيات حكاياتها الليلية، فلولاها لكانت نهايتها كالأخريات!

كم من رؤوس تدحرجت على يد سيّاف هذا الملك الطاغية! وكم بدت مغتاظة على مصيرها ومقهورة على مصير بنات جنسها! وكانت نفسها تختلج بتساؤلات هائلة: «هل عليّ أن أمتّع هذا الرّجل كامرأة كي أحمي رأسي من السيف، لمجرّد أنّه ملك ويعدني من ضمن مملكاته الباذخة؟! هل لكوني أنثى خلقت لإحياء رغبات

الرّجال فحسب؟! هل هذا هو غاية خلقك لنا يا إلهي؟ كم وددت لو أنّ الشّخصيات التي خرجت من رأسها أن يسعفوها!»

خلال تلك المدة كان خدم القصر الملكي يسمعون جلبة وأصواتًا مبهمة تصدر من مستودع يقع تحت الأرض في قصر الملك «شهريار»

وفي البداية اعتقد الخدم أنّ الفئران هي وراء تلك الأصوات الصّاخبة، فوضعوا لها سمًّا ومصائدَ، لكنّها بقيت فارغة رغم الجلبة التي تتضاعف بمرور الليالي، بل إنّ أحد الخدم في إحدى الليالي المعتمة شاهد ظلالًا تتحرّك من فتحة الباب العتيق حتّى شاع أنّ المستودع مسكون بالجنّ، وصارت الأصوات التي تصدر في منتصف الليالي مألوفة مع الوقت دون أن يتجرّأ أحد على إبلاغ الملك شهريار عنها؛ لئلا يعكروا صفوه وهو ينتشي بحكايات الملكة شهرزاد.

ليلة بعد أخرى كانت شهرزاد تشعر بنضوب أحداث حكاياتها، وهو ما سيعرضها للموت كالأخريات، فهذا الملك الجبار الذي صار وديعا لا يمكن أن تأتمنه، وهو الذي قطع رؤوس كل إناث المملكة، ولولا حكاياتها لقضت نحبها منذ أوّل ليلة.

وحدث ما لم يكن في الحسبان، في ليلة من الليالي حين دخل عليها في مخدعها الملك شهريار بكامل فخامته وصوته الرّخيم، يمسي عليها بأطيب المديح والثّناء لرؤياها، متشوّقًا لحكاية كلّ ليلة،

حاولت شهرزاد أن تردّ عليه غير أنّ صوتها لم يخرج من حلقها، وكأنّ الكلمات بقيت محبوسة في أعماقها، حاولت جاهدة أن تنطق بكلمة غير أنّ صوتها ظل جامدًا لا يسعفها.

هلع الملك شهريار، فكيف لشهرزاد أن تكفّ عن الكلام، وأرسل في طلب أشهر الأطباء في البلاد، لكنّهم جميعا عجزوا عن معرفة سبب علّتها.

مرّت ليالٍ ثقيلة وطويلة على الملك شهريار وعلى المملكة أيضًا، فقد عاد جبارا كسابق عهده، وأرسل في طلب امرأة كشهرزاد، تتقن الحكي واستدعاء شخصيات تؤنس وحدة لياليه، لا يمكن ألّا توجد سوى امرأة واحدة تمتلك فنون الكلام، لكن مساعيه خابت.

وفي يوم استعان بامرأة عجوز قيل: إنها معروفة بضروب السّحر والشّعوذة، لعلّها تجد علاجًا للملكة شهرزاد، غير أنّه حين التقى بها، تفاجأ أنّها تقترح عليه أن يقطع عنقها كما فعل مع غيرها من النّساء، فهي الطّريقة الوحيدة ليتخلص من لعنتها عليه وعلى المملكة، وعند ذلك فحسب سوف يقابل فتاة أخرى تمتلك من الفنون ما لا يخطر بباله.

استاء شهريار من اقتراحها، وطردها من مجلسه، لكنّه كلّما دخل على شهرزاد وجدها كسابق عهدها عاجزة عن الكلام المباح.

دبّت الوساوس في خلد الملك شهريار، وصار يقلّب فكره في كلام المرأة المشعوذة، فهل يضرب عنق شهرزاد لتتبدد عنه اللعنة؟!

وما كاد يفيق من هذا التّساؤل المخيف حتّى وجد صوته ينادي السّياف كي يجهز عدّته لقتل شهرزاد في ساحة المدينة بحضور حشد من العامة.

كانت شهرزاد تعي نهايتها فور عجزها عن الكلام، فكيف لملك كشهريار -سفاح النّساء- أن يتوقّف عن طباعه الممزوجة بدمه.

جهّزت السّاحة العامة، اجتمعت الحشود من جميع أرجاء البلاد، فقد ذاع صيت شهرزاد في البلاد وما حولها، هي التي استبقت على حياتها في مخدع الملك شهريار ثلاث سنوات بلياليها، لكن من كان ليتوقّع أن تشهد نهايتها كالأخريات، صريعة كباقي زوجات الملك؟!

اقتيدت شهرزاد إلى منصّة الموت، في الوقت نفسه كان بين الحضور شخصيات غريبة، وكأنّهم انبثقوا من زمان ما، فقد كان بعضهم يرتدي ثيابًا عفا عليها الزّمن، وآخرون ظهروا بهيئات مختلفة، يقال: إنّ هذه الحشود الغريبة تسرّبت من قصر الملك، وواصلت طريقها حتّى السّاحة العامة، كان مظهرهم مخيفًا، فبعث الهلع في قلوب الحاضرين، حتّى سيّاف الملك عجز عن الوقوف أمامهم وهم يحيطون بشهرزاد، التي علت وجهها بشاشة ظاهرة،

كانت تعرفهم فردًا فردًا، كان هناك علي بابا وبرفقته أربعون حراميًا، السندباد، وبدر البدور، معروف الإسكافي وغيرهم، حملوا شهرزاد على أكتافهم إلى حيث الملك شهريار الذي بدا مبهوتًا من هذه الحشود الزّاحفة نحوه، وقف عاجزًا أمامهم، يعلو الهلع وجهه، فمن أين جاء هؤلاء الثّوّار؟! وكيف اقتحموا مملكته في غمضة عين؟ أين حراسه، حماة عرشه وسلطانه؟، وماذا تفعل شهرزاد بينهم؟!

أنزل الحشد شهرزاد التي وقفت في حضرة الملك بشموخ وعلى وجهها نبرة انتصار، وهي تقول له: «بلغني أيّها الملك السّعيد، ذو العرش المجيد، أنّ امرأة تدعى شهرزاد صارت ملكة على بلاد يحكمها ملك طاغية يدعى شهريار، وأنّ هذه المرأة عزمت أن تصون نفسها ونساء مملكتها من بطش هذا الملك الجبّار، الذي أودى بحياة كثير من الضّحايا».

ومن فورها أمرت السيّاف أن يضرب عنق شهريار، ليخلص البلاد والعباد من جبروته، وتبقى شخصياتها خالدة.

كانت تعرفهم فردًا فردًا، كان هناك علي بابا وبرفقته أربعون حراميًا، السندباد، وبدر البدور، معروف الإسكافي وغيرهم، حملوا شهرزاد على أكتافهم إلى حيث الملك شهريار الذي بدا مبهوتًا من هذه الحشود الزّاحفة نحوه، وقف عاجزًا أمامهم، يعلو الهلع وجهه، فمن أين جاء هؤلاء الثّوّار؟! وكيف اقتحموا مملكته في غمضة عين؟ أين حراسه، حماة عرشه وسلطانه؟، وماذا تفعل شهرزاد بينهم؟!

أنزل الحشد شهرزاد التي وقفت في حضرة الملك بشموخ وعلى وجهها نبرة انتصار، وهي تقول له: «بلغني أيّها الملك السّعيد، ذو العرش المجيد، أنّ امرأة تدعى شهرزاد صارت ملكة على بلاد يحكمها ملك طاغية يدعى شهريار، وأنّ هذه المرأة عزمت أن تصون نفسها ونساء مملكتها من بطش هذا الملك الجبّار، الذي أودى بحياة كثير من الضّحايا».

ومن فورها أمرت السيّاف أن يضرب عنق شهريار، ليخلص البلاد والعباد من جبروته، وتبقى شخصياتها خالدة.

نهاية شعب لا يسمع

كنت المتحدّث الوحيد في جزيرة كفّ فيها النّاس عن الكلام، بفعل قرارات الملك التي خالفت كلّ ما هو معقول منذ أنجبت زوجته ابنًا يعاني من الصّمم.

خلّفت حالته بؤسًا للملك وزوجته، ونغّصت عليهما سعادتهما، وأثّرت في أحوال البلاد والعباد كذلك، بسبب ذلك أصدر الملك قرارًا غريبًا يسمح لأطفال من أبناء الجزيرة الدّخول إلى القصر، ليتمتّعوا برفقة ابن الملك، ولكن على هؤلاء الأطفال أن يدّعوا أنّهم صمٌّ في حضرة ابن الملك خوفًا من جرح مشاعره المرهفة.

وجد الصّغار في البدء صعوبة في التّحكّم بالأمر، ولكن حين رأوا أن كلّ من لا يلتزم بالتّظاهر بالصّمم يقوم الحرّاس باستبعاده، وبذلك يفوّت على نفسه موائد طافحة بألذّ أنواع الكعك وأشهى الحلويات، ناهيك عن ألعاب خصّصها الملك وزوجته لابنهما ولرفاقه الملتزمين بالطّاعة، وسرعان ما اعتادوا على الوضع الذي بدا كلعبة مسلّية، فما عادوا يستجيبون لأصوات أمّهاتهم ولا لطلبات آبائهم، صاروا كالصّمّ.

اخترع الصّغار لغة التّلويح بالأيدي وتعابير الوجوه في أحاديثهم مع ابن الملك ومع أنفسهم ومع والديهم أيضًا، أصبحت البلاد تسير على هوى أطفالها، استغلّ الرّجال لغة الإشارة حتّى ينجوا من ثرثرات النّساء البليدات اللاتي كنّ يرهقنهم بطلباتهنّ وقصصهنّ الفارغة، وصاروا يدّعون بدورهم أنّهم لا يسمعون ويلوّحون بأيديهم.

كذلك وجدت بعض الأمهات في لغة الأطفال الجديدة خير وسيلة للتّهرّب من صياح أزواجهم، المتسكّعين السكارى، الذين يطالبون بالطّعام وإشباع غرائزهم، فادّعين أنّهن لا يسمعن أيضًا، وكففن عن تلقين مواليدهنّ لغة الكلام؛ فما عادت الكلمات تستخدم في الجزيرة ولا تجدي نفعًا بين أفراد شعب اعتاد على لغة الإشارة، فسُرّ الملك وزوجته لمراعاة الشّعب لوضع ابنهما الملك.

بدا الأمر غريبًا لمن هم خارج الجزيرة، لا سيّما ملوك الدّول المجاورة أثناء الاحتفالات التي يدعون لها وكذلك لجوقة التّجّار والبائعين المتجوّلين وكلّ العابرين، غير أنّهم مع الزّمن اضطروا لتعلّم لغة الجزيرة المبتكرة، لتحقيق مصالحهم وتجنّب الكلام الذي قد يؤول إلى جدالات وخلافات، فحلّت لغة الشّفاه المطرزة بالابتسامات، والعيون البارقة بالودّ، والمصافحات الدّافئة بديلًا لها.

صرت أضرب كفًّا بكفّ من الأوضاع المتردّية التي جعلت هؤلاء النّاس كالحمقى، سيأتي اليوم الذي سيكون ادّعاؤهم

للصّمم مبعثًا لخراب الدّيار، فأيُّ عقلاء هؤلاء الذين يغفلون نعمة الكلام؟ بل أيّ حمقى هؤلاء الذين ينبذون ما قدمه الله لهم من حواس كاملة؟

رغم ذلك بقيت أتحدّث معهم، غير أنّهم ظلّوا يرمقونني بازدراء لعدم مراعاتي لسلوك الملك وزوجته، فنبذني الجميع، وكفّوا عن الاستماع لأحاديثي، وجدت في مصاحبة أغنامي نجاةً لي من الجنون المستشري بين النّاس في جزيرة يعمّها الطّرشان، فكنت أسرح معها لساعات، قريبًا من مرعى جبلي موفور بالحشائش، لقربه من نبع جدول صافٍ، مصبّه يمتد إلى تجاويف جبل بركانيّ خامد.

كان الطّقس متقلّبًا، في معظم أوقات السّنة ممطرًا، ثمّ ينقلب رطبًا وترتفع درجات الحرارة دون سابق إنذار، ورغم تقلّبات الطّقس أعلن الملك عن حفل ميلاد ابنه الذي سيبلغ العاشرة، وبعث برسائل مذيلة بخطوط ذهبية إلى ملوك البلدان المجاورة يدعوهم، وبهذه المناسبة أشار الملك إلى إقامة مأدبة ضخمة تليق بمقام ابنه، كما أشار إلى مدّ موائد من القصر في السّاحة العامة لأفراد الشّعب، ففرحوا ورفعوا أكفّهم للسّماء مبتهلين بتعابير وجوههم المتأثرة، ليحفظ الله الملك ويمدّ ابنه بطول العمر والحياة الزّاخرة بالمسرّات.

اعتزلت مع أغنامي قريبًا من المرعى الجبليّ، نائيًا بنفسي، ورغم الأجواء التي تدعو للصّخب بمناسبة المأدبة الملكية إلّا أنّ السّكون

غلب على كلّ شيء من حولي، وكأنّني أعيش في جزيرة الأموات، وبفعل الرّطوبة العالية غلبني النّعاس، فغفوت.

ثغاء الأغنام العالي أيقظني مفزوعًا ومتفصّدًا بالعرق، هالني منظر الطّيور في السّماء، تخفق بجناحيها هائجة، وكأن ثمّة خطب ما، نشف حلقي من مطاردة الأغنام ومحاولة تهدئتها فتوجّهت إلى مياه النّبع، وحين مددت كفّي لأروي عطشي لسعتني حرارة المياه.

توجّهت رأسًا إلى أعلى قمّة في المرعى الجبليّ، ورأيت ما أثار فزعي، فجريت بأقصى سرعة إلى السّاحة العامة، وصرخت في وسط الحشود الخرساء: «**يا ناس، يا ناس... اسمعوني... سنحترق، سنحترق، البركان يثور، هلمّوا بنا نرحل قبل فوات الأوان**»

لكنّ النّاس لم يعيروا انتباهًا لاستغاثاتي.. «**يا ويلي، هل أصبحوا صمًّا حقًّا أم أنّهم ما زالوا يدّعون؟! ما بال هؤلاء الحمقى، سيهلكون، سنهلك جميعا... يا الله، أغثنا!**

اخترقت مأدبة الملك الفاخرة، وأنا أصرخ لاهثًا: «**يا صاحب السّموّ، أنجدنا أرجوك من كارثة على وشك الوقوع، بركان الجبل يثور، سينفجر في أيّة لحظة، أرجوك جهّز مراكبك لنرحل، أنقذنا من الهلاك**»، لكنّ الملك والحاشية لم يعيروني سمعهم، فظهرت كما لو أنّني شخص مخبول لا يجيد لغة الإشارة، وحين ركعت على ركبتيّ أمام الملك مستغيثًا، أشار للحرّاس أن يقذفوا بي بعيدًا.

ذهبت إلى الصّغار اللاهين برفقة ابن الملك الذي خلع حُلّته الأنيقة وقذفها أرضًا -بسبب الحرارة- وراح يدور بملابسه الدّاخلية وقلّده باقي الأطفال، حاولت أن أجرّهم بتلويحاتي ناحية البحر...

ملكة القلوب

يقال: إنّ ملكة القلوب في حكاية أليس في بلاد العجائب شعرت بعد مرور سنوات بالغيرة من «أليس» التي كبرت وتزوجت وأنجبت أطفالًا، صاروا ينزلقون بدورهم أثناء نومهم العميق إلى أراضي مملكة ملكة القلوب، فأرادت بدورها أن تنجب طفلًا وتصبح أمًّا.

وأصدرت أمرًا -كعادتها- لزوجها أن يمنحها طفلًا، فقام الزوج بمهامه بشكل فعّال، وأصبحت ملكة القلوب حُبلى، وانتفخ بطنها، وفي لحظة الولادة عندما دفعت الطّفل من رحمها بقوّة انهارت مشاعرها بسبب أوجاع الولادة، فصرخت -كعادتها- آمرة الجنود الورق:

«اقطعوا رأسه... اقطعوا رأسه!»

فنفّذ الجنود أوامرها وقطعوا رأس الطفل!

وبعد أن استفاقت ملكة القلوب من غيبوبتها القصيرة، طلبت رؤية وليدها، لكنّ زوجها المسكين الذي نادرًا ما يفتح فمه، قال لها:

«لقد قطع جنودك رأسه لحظة ولادته كما أمرت يا ملكة قلبي»

ثارت ملكة القلوب، وصرخت بقوّة هائلة آمرة بقطع رؤوس الجنود الذين قطعوا رأس طفلها:

«اقطعوا رؤوسهم... اقطعوا رؤوسهم»

وُنفِّذ أمرها.

ثمّ طلبت ملكة القلوب من زوجها العمل لطفل آخر، فكرّروا المحاولة، وانتفخ بطنها، وفي لحظة الولادة من شدّة الألم، فقدت أعصابها، وصرخت بجنون:

«اقطعوا رأسه... اقطعوا رأسه»

فأتمّ جنود الورق المهمة كما أمرت ملكة القلوب...

وحين استعادت وعيها، وطلبت رؤية الطّفل، قال لها زوجها المسكين:

«لقد قطعوا رأسه كما أمرت يا ملكة القلوب»

فصرخت بأعصاب نافرة:

«اقطعوا رؤوسهم... اقطعوا رؤوسهم»

ظلّ المشهد نفسه يعيد نفسه عامًا بعد عام بسبب انفعالات ملكة القلوب وصعوبة التّحكّم بنفسها، رغم ذلك ظلّت تكرر الأمر إصرارًا منها بعنادها المألوف، كي تكون أمًّا، وفي إحدى الأيّام وفي لحظة الولادة، تصادف وجود الأرنب الأبيض، وهو يحوم حول

الملكة مستعجلًا كعادته مركّزًا على السّاعة التي كانت في يده متمتمًا بصوت عجول: «**يا إلهي! يا إلهي! لقد تأخرت**»

وحين سمعت الملكة صوته، شدّته من ياقته، وقبضت على يده بأسنانها الحادة لتكتم انفعالاتها في محاولة منها لدفع طفلها حتى انزلق من رحمها، بينما الأرنب الأبيض من شدّة الألم طفقت دموعه تسيل من مقلتيه، وهو يتمتم بصوت أقرب للنّحيب: «**يا إلهي! يا إلهي! لقد تأخرت**»

احتفلت مملكة ملكة القلوب بالوليد الجديد الذي صار يكبر وهو لصيق الملكة، وصار مع الوقت نسخة مصغّرة عنها، حتّى انفعالاتهما بدت شبيهة ببعضها، وحين لا يعجبهما شيء يصرخ كلاهما في اللحظة نفسها:

«**اقطعوا رأسه... اقطعوا رأسه**»

فينصاع جنود الورق لأوامر ملكة القلوب وابنها.

كان ابن ملكة القلوب متحمّسًا للغاية، وصار صوته يعلو مع الوقت، صار عاليًا، أعلى من صوت الملكة الذي صار شبيهًا بالهمس مقابل صوته القوي، فاعتاد جنود الورق على الصّوت الجبّار لابن الملكة، واكتفت الملكة بتكشيرة وجهها.

تجبّر ابن الملكة، وصار منفعلًا طوال الوقت، آمرًا ناهيًا، كان مهيبًا من قبل الجميع، وصاروا أيضًا يتجنّبون نوبات غضبه،

تضخّم غرور ملكة القلوب، وصارت متعالية ومفاخرة بابنها الذي أحكم قبضته على المملكة بيد من حديد، وكانت ترى سلطته امتدادًا لسلطتها وصونًا لها من مطمع الأعداء.

لكنّها لم تتوقّع مطلقًا أن يقوّض جبروته سلطتها، ويمسح وجودها فوق وجه الكرة الأرضية، ففي يوم انفعل على أمه الملكة، فصرخ غاضبًا:

«اقطعوا رأسها... اقطعوا رأسها»

فنفّذ جنود الورق أوامر ملكهم، ملك القلوب.

الفهرس